المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــدد 20A شباط 2026
No.20A Feb. 2026

الأفعال الحجاجية في ديوان السيّد حيدر الحلي: دراسة تحليلية بلاغية

م.م. محمد غضيب جاسم
المديرية العامة للتربية في محافظة بابل
العنوان : بابل ـــ الحلة
mohammed.ghadeeb.jasim@ec.edu.iq

ملخص البحث :
يستقصي هذا البحث آليات الحجاج في ديوان السيد حيدر الحلي عبر توظيف نظرية الأفعال الكلامية، لبيان كيفية تحويل النص الشعري من رثاء ساكن إلى فعل إنجازي يُعيد صياغة قناعات المتلقي تجاه القضايا الكبرى، وتتوزع الدراسة بين تأصيل نظري (تراثي وحداثي) وسياق أدبي استنهاضي وتحليل إجرائي للأفعال (الأمر، النهي، الإستفهام، القسم، التقرير) ووظائفها الإقناعية، وقد أبرز البحث إستراتيجيات إحراج الموقف و الانزياح الوظيفي للأغراض، ليخلص إلى أن الحجاج هو الجوهر الفاعل في لغة الحلي التي زاوجت بين نزاهة الحجة والانعتاق الوجودي، محولةً القصيدة إلى مرافعة تداولية عابرة للزمان تستنهض وجدان الجمهور.
كلمات مفتاحية: الأفعال الحجاجية ، السيّد حيدر الحلي

Argumentative Verbs in the Diwan of Sayyid Haydar al-Hilli: An Analytical Rhetorical Study

A.L. Muhammad Ghadhib Jassim
General Directorate of Education in Babylon Governorate

Abstract
This research investigates the argumentative mechanisms within the *Diwan* of Sayyid Haydar al-Hilli by employing Speech Act Theory as a primary analytical framework. It aims to demonstrate how the poetic text is transformed from a static lament into a performative act capable of reshaping the recipient's convictions regarding pivotal issues.The study is structured across a theoretical foundation that bridges linguistic heritage with modernity, a revivalist literary context, and a procedural analysis of speech acts—specifically commands, prohibitions, interrogatives, oaths, and assertions. By highlighting their persuasive functions, the research reveals strategies of situational embarrassment and the functional displacement of rhetorical purposes. Ultimately, the study concludes that argumentation is the active essence of al-Hilli's language, which successfully harmonizes logical integrity with existential liberation.Through this synergy, the poem is rendered into a trans-temporal pragmatic plea that effectively rouses the collective conscience of the audience.
Keywords: Argumentative Verbs, Sayyid Haydar al-Hilli

- **المقدمة:**

نتناول في هذا البحث أهمية الحجاج المميزة في الخطاب الشعري، خاصة في الشعر العربي الذي طالما استُخدم وسيلة للإقناع والدفاع عن القضايا الدينية والاجتماعية بل وحتى السياسية ، ونحن إذ نتناول الحجاج في ديوان السيد حيدر الحلي الذي يعد من أبرز شعراء العصور المتأخرة، والذي بدوره سخر شعره لخدمة قضايا الأمة، ولا سيما القضية الحسينية ، وبما أن الأفعال الكلامية الحجاجية تعد من أبرز الوسائل التي يوظفها الشاعر

للتأثير في المتلقي وبناء مواقفه ومحاولة إقناعه ، فقد تناولت في بحثي هذا الإطار النظري لمفهوم الحجاج وكذلك حياة الشاعر والموقف الحجاجي في شعره ثم انتقلت الى تتبع الأفعال الحجاجية في شعره وتوزيعها بلاغياً بين طيات ديوانه وأخيراً انتقلت الى الوظيفة التداولية للأفعال الحجاجية وأثرها على المتلقي.

- **مفهوم الحجاج في اللغة والاصطلاح**

"الحجة كل شيء يصلح أن يحتج به على الغير ، وذلك بأن يكون به الظفر على الغير عند الخصومة معه، والظفر على الغير على نحوين: اما بإسكاته وقطع عذره وابطاله ، واما بأن يلجئه على عذر صاحب الحجة فتكون الحجة معذرة له لدى الغير.[1] "

يُعَدّ الحِجَاج من المفاهيم المركزية في الدراسات اللغوية والبلاغية؛ لما له من دورٍ فاعل في توجيه الخطاب وبناء المعنى وإقناع المتلقي، وقد ارتبط هذا المفهوم منذ القدم بفكرة البرهان وإقامة الدليل، سواء في الجدل اللغوي أم في الخصومة الفكرية، لذلك اهتم المعجميون والباحثون بتحديد دلالاته وبيان أبعاده، فوقفوا عند جذوره اللغوية واستعمالاته المختلفة في العربية، وفي هذا السياق تتجلّى تصورات عدد من العلماء حول مفهوم الحجة والحِجاج، ومنهم أحمد مختار ولويس معلوف اللذان قدّما تعريفات تُبرز العلاقة الوثيقة بين الحِجاج والبرهان والغلبة بالحجة، كما تكشف عن حضور هذا المفهوم في التراث اللغوي والمعجمي العربي، لذا نجد أحمد مختار يتناول الحجة بقوله هي من "احتج عليه: وأقام الحجة والبرهان كان نحاة العرب لا يحتجون على الصواب اللغوي إلا بلغة عدد محدود من القبائل"،[2] وذكر لويس معلوف في منجده معنى الحجاج بأنه "حج ــ حجاه: غلبه بالحجة. حاج حجاجا ومحاجة خاصمه فحجه، تحاجا: تخاصما احتج: ادعى وأتى بالحجة وبالشيء جعله حجة وعذرا له...المحجاج: الكثير الخصومة المحجوج: المغلوب بالحجة".[3]

وأما الحجة في الاصطلاح العلمي فلها معنيان أو اصطلاحان:
"ما عند المناطقة : كل ما يتألف من قضايا تنتج مطلوباً، أي مجموع القضايا المترابطة التي يتوصل بتأليفها وترابطها إلى العلم المجهول سواء كان في مقام الخصومة مع أحد أم لم يكن . وقد يطلقون الحجة أيضاً على نفس(الحد الأوسط) في القياس.
ما عند الأصوليين، ومعناها عندهم حسب تتبع استعمالها: كل شيء يثبت متعلقه ولا يبلغ درجة القطع. أي لا يكون سبباً للقطع بمتعلقه ، وإلا فمع القطع يكون القطع هو الحجة"4

- **نظريات الأفعال الكلامية (أوستن – سيرل – فان ديك)**

أولاً : رأي أوستن

ترتبط نظرية الفعل الكلامي بـ (أوستن) الذي يعد رائد هذه النظرية فقد قدم مفاهيم دقيقة حول الفعل الكلامي ومفاهيمه وشروطه لذلك نجده "أراد أن يتجاوز ما كان سائداً في الفكر الفلسفي واللساني الشائع أنذاك، والذي أعطيت فيه المكانة الأولى للجمل التي تصف الواقع على حساب الجمل التي تنشئه أو تهدف إلى ذلك على الأقل باعتبارها - كما يرى المناطقة - مجرد أشباه إثباتات أو مجرد تعبيرات انفعالية قد تصلح في ميدان الشعر أو التعبير الخيالي بعامة، ولكنها لا تصلح لصياغة قضايا المنطق .."5
وبين نبرة الصوت وحركة الجسد يتحول الكلام من قوالب لفظية جامدة إلى طاقة تعبيرية نابضة، فهي بلاغة الأداء التي تجعل من اللغة فناً يُحاكي المشاعر، وتمنح التواصل صبغة إنسانية تتجاوز الحروف لتصل إلى

1. اصول الفقه / الشيخ محمد رضا المظفر /11
2. معجم اللغة العربية المعاصر/ أحمد مختار عمر/ 444/ مجلد 1/ ط1/ 1429ــ 2008
3. المنجد في اللغة/ لويس معلوف /المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 118
4. اصول الفقه / الشيخ محمد رضا المظفر /12
5. الأمر والنهي في نظرية الأفعال الكلامية / 12

جوهر التأثيرلذا نجد "إن فعل الكلام مثله في ذلك مثل الفعل الصوتي، يمكن أن يحاكي وأن يقلد كما يمكن أن يتجدد حصوله ويدخل في ذلك تجميل الصوت وتنغيمه، والغمز بالعين وحركات الجسم وإشاراته ... فأحدنا لا يمكنه فقط ان يقلد الاثبات في هذه الجملة المقتبسة لها شعر جميل بل وأيضا يمكنه أن يتفنن في تنويع اخراج نبرات الصوت، كان يقول لها ما أجمل شعرك بإطالة نطق لفظ الشعر، والتشديد عليه وهز كتفه دلالة على الاستحسان " 1.

ثانيا: رأي سيرل

"رأى سيرل أن الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل هو مرتبط أيضا بالعرف اللغوى والاجتماعي ولكي يوضح ذلك ضرب المثل الآتي : فلنفترض أنني جندى أمريكى فى الحرب العالمية الثانية وأن الإيطاليين أسرونى، وافترض أنني أردت أن ألقي في روع هؤلاء الإيطاليين أنني ضابط ألمانى لكى يطلقوا سراحي، فما أريده هو أن أقول ذلك باللغة الألمانية أو الإيطالية، ولما كنت لا أجيد أيا من اللغتين فقد حاولت أن أقول لهم: إننى ضابط ألماني باستخدام جملة من اللغة الألمانية تذكرتها مما كنت أدرسه في المدرسة من دروس اللغة الألمانية ثقة منى بأنه ليس من هؤلاء الإيطاليين من يجيد اللغة الألمانية بحيث يستطيع أن يكشف الخطة التي أدبرها "2

وهنا يريد سيرل القول بأن النجاح في إيصال فكرة ما لا يعني بالضرورة أنك قمت بفعل كلامي صحيح، فالجندي الذي حاول خداع آسريه استخدم النية لتعويض جهله باللغة، وهذا يثبت أن الكلام ليس مجرد رغبة في إحداث أثر لدى الآخرين، بل هو نظام يتطلب احترام القوانين الاجتماعية واللغوية المشتركة ليكون له معنى حقيقي وقد"استطاع سيرل أن يطور تصور أوسان لشروط الملاءمة أو الاستخدام felicity conditions التي إذا تحققت في الفعل الكلامي كان موفقاء فجعلها أربعة شروط، وطبقها تطبيقا موجزا ومحكما على أنماط من الأفعال الإنجازية، فطبقها على أفعال الرجاء، والإخبار، والاستفهام والشكر، والنصح، والتحذير، والتحية، والتهنئة وبين ما قد يحتاجه كل منها إلى بعض شروط إضافية، وما يستغنى منها عن بعض الشروط ونكتفى هنا بذكر هذه الشروط مطبقة على فعل الرجاء "3 .

ثالثاً : رأي فان ديك

"يعد فان ديك من أهم المنظرين لهذه النقلة النوعية من (الفعل) الكلامي الجزئي ؛ والذي تم على يد (أوسيتن) و (سيرل) وغيرهما، إلى الفعل الكلامي النصي)؛ والذي يُنظر فيه إلى النص بوصفه سلسلة من أفعال الكلام تخدم فعلا كلاميا شاملا."4

إن الانتقال من (الفعل) إلى (النص) هو انتقال من المعنى الضيق إلى المعنى السياقي الرحب، لقد استطاع فان ديك سد الفجوة بين اللسانيات البنيوية وبين علم اجتماع التواصل، مما جعل الفعل الكلامي النصي الأداة الأنسب لتحليل الخطاب في العصر الحديث ولذلك "دعا فان دايك إلى استثمار المقولات الكلامية في تحليل النص، وتحليل النص على وفق نظرية الفعل الكلامي الكلّي هو التحليل الذي ينظر فيه رواده إلى النص ليس كمتوالية من الجمل ذات الطبيعة الدلالية، بل يُنظر إليه كمتوالية من الأفعال الكلامية المتعلقة بفعل كلامي كلي يقوم على إنجاز معين " .5

- **العلاقة بين الأفعال الكلامية والحجاج في ديوان سيد حيدر الحلي**

إن الأفعال الكلامية لا تُستعمل لمجرد الإخبار أو التعبير، وإنما تُوظَّف بوصفها آليات إنجازية ذات مقصد إقناعي، فالمتكلم حين يختار أفعالًا كلامية بعينها، لا ينقل معطيات لغوية محايدة، بل يسعى إلى التأثير في المتلقي

---

1. نظرية أفعال الكلام العامة / كيف ننجز الأشياء في الكلام/117
2. أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر/ محمود أحمد نحلة / 73
3. أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر / محمود أحمد نحلة / 74
4. التداولية في البحث اللغوي والنقدي / بشرى البستاني / 311
5. الفعل الكلامي النصي عند فان دايك/ محمد مهدي حسين/ مجلة أبحاث ميسان / المجلد 18/ العدد 35 / 967

وتوجيه مواقفه الفكرية، وهو جوهر الفعل الحِجاجي لذلك "هي أفعال تدخل في علاقة ما يقوله المتكلم عند الحديث عن طريق الحجاج أي يستعملها لإقناع المتلقي بالأفكار التي يعرضها"[1].

وعليه فقد شهد الدرس اللغوي المعاصر تحوّلًا نوعيًّا في النظر إلى اللغة، إذ لم تعد تُدرَس بوصفها نسقًا شكليًّا مغلقًا يقتصر على نقل المعاني، بل غدت تُفهم على أنها فعل تواصلي وإنجازي ينهض بوظائف متعددة، في مقدمتها التأثير والإقناع، وقد أسهمت التداولية إسهامًا بارزًا في هذا التحول من خلال ربط اللغة بسياقات استعمالها، وبمقاصد المتكلمين وآثار أقوالهم في المتلقين، وفي هذا الإطار برزت نظرية الأفعال اللغوية بوصفها منطلقًا أساسًا لفهم البعد الفعلي للغة، ومهّدت الطريق أمام نشوء تصورات جديدة تُعنى بالبعد الحِجاجي في الخطاب، لذلك نجد إن "نظرية الحجاج في اللغة نشأت من نظرية الأفعال اللغوية التي أسسها "جون لانجشو أوستين" البريطاني (1911-1960) فلقد طور "ديكرو "هذه النظرية مقترحا فعلين آخرين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج." [2]،

وتُعدّ مقاصد المتكلم عنصرًا أساسًا في فهم الخطاب وتأويله، إذ لا يقتصر القول اللغوي على بنيته اللفظية الظاهرة، بل يتجاوزها إلى ما يرمي إليه المتكلم من أهداف تواصلية وتأثيرية، وقد أسهمت التداولية في إبراز هذا البعد المقصدي من خلال تركيزها على الفعل الكلامي بوصفه أداة لإنجاز المعنى داخل السياق، وفي هذا الإطار يكتسب الفعل الكلامي الإنجازي أهمية خاصة، لكونه الحامل الرئيس لمقاصد المتكلم والموجّه لتأويل الخطاب ووظيفته و"من المعروف أن الفعل الكلامي الإنجازي هو الذي يمثل مقاصد المتكلم؛ لذلك فإنّ تحليل تلك الأفعال لابدّ أن يأخذ هذا الأمر في الحسبان"[3]

وقد أفرزت الدراسات اللسانية التداولية وعيًا متزايدًا بأن الخطاب اللغوي لا يُفهم بمعزل عن وظيفته التأثيرية وعلاقته بالمتلقي، إذ إن اللغة تُستعمل في المقام الأول لإنجاز أفعال وتوجيه مواقف داخل سياقات تواصلية محددة، وقد أسهم هذا التصور في إبراز الصلة الوثيقة بين نظرية الحِجاج ونظرية الأفعال الكلامية، باعتبارهما إطارين نظريين يتكاملان في تفسير كيفية اشتغال اللغة بوصفها فعلًا اجتماعيًا وإنجازيًا، ومن هذا المنطلق يغدو تحليل الخطابات الحجاجية سبيلًا للكشف عن البنى اللغوية والتداولية التي تحمل مقاصد المتكلمين، وتُظهر آليات الترابط بين الأقوال داخل النسيج الحِجاجي، في إطار لساني يراعي الخصوصية الوظيفية للغة.

إن "نظرية الحجاج لها ارتباط وثيق بنظرية الافعال الكلامية فـ الحجاج في ارتباطه بالمتلقي يؤدي الى حصول عمل ما أو الإعداد له، ومن ثم سيكون فحص الخطابات الحجاجية المختلفة بحثا في صميم الأفعال الكلامية وأغراض السياقية، وعلاقة الترابط بين الاقوال والتي تنتمي الى البنية اللغوية الحجاجية، وسيكون مؤطرا بالخاصية اللسانية" [4]

وعليه فإنّ الأفعال الكلامية والحِجاج يشكّلان معًا بنيـة تداولية متكاملة، تتجلى فيها اللغة بوصفها فعلًا إنجازيًا ذا مقصد تأثيري، لا مجرد أداة لنقل المعنى، فالفعل الكلامي حين يُستعمل في سياق حِجاجي يتحول إلى وسيلة لإقناع المتلقي وتوجيه مواقفه، مستندًا إلى مقاصد المتكلم وإلى شبكة من العلاقات الترابطية بين الأقوال داخل الخطاب، ومن ثمّ فإن تحليل الخطاب الحِجاجي يقتضي الوقوف عند الأفعال الكلامية التي تؤسسه، والكشف عن أبعاده السياقية واللسانية، بما يتيح فهمًا أعمق لوظيفة اللغة في ممارسة التأثير وبناء القناعة داخل التواصل

---

[1]. تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية /عمر بلخير / مجلة الأثر / العدد 13/ 69

[2]. نظرية الحجاج اللغوي عند ديكرو/ نهاري فضيلة /مجلة الرستمية /العدد الخاص بالمتلقي الوطني الحجاج وعصر الخطاب /45

[3]. الفعل الكلامي في المسانيات الحديثة: تحميل الخطاب عند فان دايك أنموذجا/ الدكتور محمد بصل/ مجلة جامعة تشرين/المجلد 40/ العدد 5/ 244 .

[4]. نظريتا الحجاج والأفعال الكلامية بين الأرت البلاغي العربي واللسانيات الغربية المعاصرة / لقاء عادل حسين/ حوليات آداب عين شمس/ المجلد 50 /228

الإنساني، وبذلك يتأكد إن الحِجاج ليس مكوّنًا عرضيًّا في الخطاب، بل هو مظهر أساسي من مظاهر اشتغال الأفعال الكلامية في بعدها التداولي والاجتماعي.

- **سيرة السيّد حيدر الحلي**

تعد سيرة السيد حيدر الحلي مادة خصبة للدراسة، ليس لشاعريته الفذة فقط، بل لما تتوفر من إشارات التوثيق التاريخي لولادته التي تستوقف القارئ إذ إنه "ولد في الحلة ليلة النصف من شعبان سنة ١٣٤٦ ومات ابوه سنة ١٢٤٧ "[1]

ولا يمكن للباحث في تاريخ الأدب العراقي أن يتجاوز تلك القامة المرموقة التي مثّلها الشاعر السيد حيدر بن سليمان الحلي، ذلك الأديب الذي وُلد بين أحضان مدينة الحلة الفيحاء، ليكون صوتاً من أصواتها الخالدة، إن المتأمل في بدايات هذه الشخصية، يجد سيرةً اكتنفتها مرارة اليتم في سنٍّ مبكرة، حيث لم يكد يبلغ السنتين حتى فجع بوفاة والده، فهو ابو سليمان حيدر بن سليمان بن داود بن سليمان الكبير .... توفي والده وهو صغير لم يتجاوز السنتين من عمره ، فكفله عمه السيد مهدي، وتزوج امه، وعنى بتربيته، فاخذ عمه يحبب اليه الأدب والشعر وقراءة دواوين الشعراء المتقدمين مثل ديوان الشريف الرضي وديوان المهيار الديلمي وغيرهما" [2]

لقد اقترن السيد الحلي في الأذهان بمدرسة الرثاء والولاء، فإن سعة أُفقه الأدبي ومكانته في ديوان العرب تتجاوز حدود الغرض الواحد لتشمل آفاق الإبداع الشعري بمختلف فنونه، فالحلي لم يكن رثّاءً فحسب، بل كان فارساً في ميادين القول كافة، تجلت في قريحته ملامح الفحولة التي استمدها من قراءاته الواعية لموروث الكبار، فنجد محمد علي اليعقوبي يبدي رأيه فيه فيقول " اما غير الرثاء من فنون الشعر المتداولة في عصره كالمدح والفخر والحماسة والغزل والموشحات والنسيب والوصف والتشبيب فانه لم يقصر فيها عن غيره من فطاحل الشعراء بل يظهر له في كثير من بدايعه السبق والتقدم"[3]

إن توثيق لحظات الأنتقال ومكان المستق، ليس مجرد جردٍ تاريخي فقط، بل هو إجلال لشخصيةٍ بدأت حياتها في الحلة يتيمةً، وانتهت بوفاتها خسارةً للأدب العربي لا تُعوض، إذ توفي السيد حيدر الحلي " في مسقط رأسه بالحلة عشية الاربعاء في الليلة التاسعة من ربيع الثاني سنة ١٣٠٤ ه وعمره ٥٩ سنة ودفن في النجف في أول الساباط بين مرقدي السيد مرزا جعفر القزويني والشيخ جواد الشوشتري "[4]، إن رحيله في التاسعة والخمسين من عمره، ومواراته الثرى في النجف الأشرف بجوار كبار العلماء والزهاد، لم يكن إلا انتقالاً من حضور الجسد إلى خلود الأثر؛ فقد ترك خلفه ديواناً يفيض بالفحولة، ومدرسةً في الرثاء والولاء ما زال صداها يتردد على المنابر وفي المحافل الأدبية.

- **ملامح الخطاب في شعر السيد حيدر الحلي .**

إن السيد حيدر الحلي يُعتبر مثالاً مميزاً للشاعر الذي أبدع في تطويع لغته لتكون جسراً ينقل الألم إلى المتلقي؛ فهو لا يكتفي بعرض المأساة بصفة مراقب محايد، بل يعيد تشكيلها كحالة شعورية يتفاعل معها القارئ وجدانياً، لذا فخطاب الحلي يتخطى السرد المباشر ليستخدم الألم التراجيدي كوسيلة لإشراك الآخر في معاناة الأمة وتحفيزه على رفض الوضع السياسي والاجتماعي السائد في زمنه، وقد وظف السيد حيدر الحلي موهبته الفنية وبراعة أسلوبه لتحويل الكارثة التاريخية إلى موضوع معاصر يؤثر في وجدان المستمع، حيث أن "الشاعر لا يخاطب القارئ أو المستمع بأسلوب مباشر فقط، بل يجعله شريكًا في الألم والمعاناة، فيدفعه إلى إعادة التفكير في الواقع الذي يعيشه وفي المآسي التي يتناولها شعره" [5]

---

1. البابليات / محمدعلي اليعقوبي/ 2/ 154 .
2. تاريخ الحلةً القسم الثاني في الحياة الفكرية/ يوسف كركوش الحلي / 142 .
3. البابليات / محمد علي اليعقوبي / 2 / 159 .
4. تاريخ الحلة / القسم الأول - في الحياة السياسية / يوسف كركوش الحلى / 145
5. الأسلوب العتابي في قصائد السيد حيدر الحلي الحسيني/ لقاء عباس ظاهر/ Lark Journal/ المجلد 17/العدد3/الجزء1/311 .

لذلك يظهر خطاب السيد حيدر الحلي كخطاب تراجيدي يستفيد من الذاكرة التاريخية لإحياء الوعي بالخلاص؛ حيث يربط بين ألم عاشوراء والتطلع لظهور المنقذ العالمي، ويعتمد خطابه على إشراك الجمهور في ألم الانتظار من خلال تحويل الذكرى الأليمة لنهضة الإمام الحسين إلى حافز مباشر لإحياء ذكر الإمام المهدي (عج)، محولاً القصيدة إلى فضاء للتعبير العاطفي والارتباط الجوهري بين مآسي الماضي وآمال المستقبل فقد "أدرج هذا الشاعر الشيعي قضيّة ظهور منجي عالم البشرية بمختلف الطرق في شعره، فهو يشير إلى هذه المهمة في شعره حينا في أثناء ذكرى ملحمة عاشوراء ونهضة الإمام الحسين الله الدموية"[1]

من يتأمل في شعر السيد حيدر الحلي يلاحظ أنه لا يقتصر على مجرد رثاء الماضي، بل يستحضر المأساة كواقعة حية نابضة بالألم، إذ يتسم خطابه الشعري ببنية دلالية غنية بمفردات مثل (الصدمة) و(الجريمة)، مما يعكس شعوراً بالغضب والسخط تجاه مرتكبي الجريمة، ولا يقتصر هذا الخطاب على نقل الكلمات إلى المتلقي، بل يغمر القارئ في عمق المعاناة، جاعلاً من الشعر وسيلة للاعتراض السياسي والديني، الذي يربط بمهارة بين مأساة كربلاء وضرورة ظهور المنقذ العالمي (الإمام المهدي) عجل الله فرجه لإرساء قواعد العدالة، "فقد أكثر السيد الحلي من استخدام مفردات الجريمة وما يتصل بها، لكونه ما زال على وقع صدمة ناتجة عن المصائب التي حلت بأهل البيت عليهم السلام خاصة الإمام الحسين عليه السلام في معركة الطف؛ وكان الجرح لا يزال حياً، فيكون الشاعر في حالة غضب وحنق شديدين على من قاموا بقتل جده الحسين عليه السلام " [2]

وبناءً على ذلك يمكننا القول إن خطاب السيد حيدر الحلي يتميز بعدم اقتصاره على الرثاء التقليدي فحسب، بل يتحول إلى قوة نابضة بالحياة عبر ثلاثة أبعاد مترابطة: البعد العاطفي الذي يجعل المتلقي يشارك في الإحساس بالألم بدلاً من أن يكون مجرد مستمع، والبعد العقائدي التحريضي الذي يربط مأساة عاشوراء بضرورة ظهور المنقذ، وفي النهاية يأتي البعد الأسلوبي والدلالي ليعبر عن هول الفاجعة من خلال وفرة كلمات الجريمة والغضب، وبهذا تمكن السيد حيدر الحلي من تحويل قصائده إلى جسر يربط بين معاناة الماضي وآمال المستقبل، جاعلاً من الشعر وسيلة تتجاوز الأدب لتصبح صوتاً احتجاجياً حياً ومعبراً عن الوجدان

- **الموقف الحجاجي في شعره الديني والسياسي**

يمثل شعر السيد حيدر الحلي مثالاً متقدماً للخطاب الحجاجي الذي لا يقتصر على رهافة المشاعر، بل يمتد إلى قوة التأثير والإقناع، فقد وظف إمكانياته اللغوية ليوحّد بين القضايا الدينية والهموم السياسية ضمن إطار فكري واحد، ففي الجانب الديني تجاوز الرثاء حدود الحزن ليصبح وسيلة لإثبات المظلومية الحقيقية ومساءلة التاريخ من خلال إبراز الفارق بين مبادئ الحق والباطل، أما على الصعيد السياسي فقد تميز شعره بالجرأة في فضح تناقضات السلطة.

و في إطار السعي لإنشاء هوية مقاومة تشجع المُتلقي على التغيير الفعلي، اعتمد الشاعر الحلي على وسائل بلاغية حجاجية، مثل الاستفهام الإنكاري لإلزام الخصم، والتكرار لتعزيز المفاهيم، والصور البيانية لتقريب الأفكار العقلية. هذا جعَل من ديوانه أداة فعالة لإعادة تشكيل الوعي ومواجهة الاستبداد من خلال قوة الحجة، كما يُبيّن في أمثلة عدة منها قوله:

فكم ولجوا منكم مغارة ارقم؟ وكـــم داســـوا عرينـــة ملبـــد ؟
وكم منـــــكم خبـــــاء لحـــــرة ؟ عنادا ودقوا منكم عنق أصيد ؟ [2]

فهنا نجد أن السيد حيدر الحلي تمكن من تحويل (كم) و(منكم) من مجرد أدوات استفهامية إلى روابط عاطفية تجعل المتلقي أكثر ارتباطاً بفداحة الفاجعة؛ إذ من خلال الموقف الحجاجي، ما عاد القارئ مجرد مستمع لمرثية، بل أصبح شاهداً يشهد على الأدلة التي يقدمها الشاعر. فهو يستثير عاطفة المتلقي عبر تتابع بلاغي متصاعد، حيث يبدأ بإثارة دهشته أمام انتهاك الخصوصيات (المغارة)، ثم يثير فيه مشاعر العزة حين يلاحظ انهيار الهيبة

---

[1]. خطاب المهدويّة في شعر السيد حيدر الحلي معتمدا على قضية الانتظار و الاستنهاض/ سودابه مظفري/ المجلد4/ العدد8 /236

[2]. أسلوبية البنية الدلالية في مراثي السيد حيدر الحلي / حسين نعمة الركابي/ مجلة اللغة العربية وآدابها / العدد ٣٧ / 518 .

(العرينة)، ليصل إلى ذروة الانفعال العاطفي عند تصوير انتهاك الستر (الخباء) وخيانة الرموز(الأصيد)، إن العلاقة التي طورها الحلي مع المتلقي تهدف إلى نقله من وضعية (التلقي السلبي) إلى حالة (المشاركة العاطفية الكاملة)، حيث يتم إحاطة الخصم تاريخياً وأخلاقياً في ذهن القارئ، موضحاً أن الجريمة لم تكن ذات طابع سياسي فقط، بل تعدت ذلك لتكون انتهاكاً واضحاً لكل القيم الإنسانية والدينية التي يقدسها المتلقي، حيث " أخذ الشاعر على عاتقه تعداد ماسلب من حقوقهم ليزيد من قوة المعنى, وإيصاله المتلقي بطريقة مشجية, فكان التكرار في هذا الموضوع مناسباً لعملية التوصيل هذه, وقد أحدث تكرار (كم) إيقاعاً يحمل نغمة مشوبة بالدمدمة والزمجرة, هزت النفوس هزاً " [1] .

إن النهج الذي يتخذه السيد حيدر الحلي يعد فريداً؛ حيث يعكس منهجه في الخطابة استراتيجية واعية تهدف إلى إعادة تشكيل الوعي الجمعي، فقد تجاوزت القصيدة في نظره كونها مجرد وسيلة للتعبير عن المشاعر الذاتية، لتصبح ساحة للنضال القيمي والسياسي الشديد، لقد استخدم الحلي تقنيات الاستنهاض ليس فقط لاستحضار الماضي، بل سعى إلى تحليل وإعادة بناء هيكل القمع والركود الذي سيطر على زمانه، محاولاً كسر حاجز العجز الذي أحاط بالأمة نتيجة الانحطاط الشامل في مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية.

وبدلاً من التوقف عند حدود الندب التقليدي الذي يقتصر على استدرار الدموع، نجد أن الحلي يبني خطاباً شعرياً مختلفاً في جوهره يعتمد على الشكوى الاحتجاجية، هذه الشكوى لم تكن مجرد إعلان عن الضعف، بل كانت وسيلة لمساءلة الواقع؛ إذ يستخدم العتاب والرجاء كأدوات للضغط النفسي والسياسي، ويوجهها أحيانًا نحو الرموز البارزة وأحيانًا أخرى نحو الضمير الجمعي، والهدف من ذلك هو زعزعة حالة الاستسلام السائدة في المجتمع وإحداث تغييرات في القناعات الثابتة التي أدت إلى قبول الظلم.

إن التحول الكبير في بنية الأغراض التقليدية مثل الرثاء والمدح يعكس رؤية عميقة تهدف إلى توفير قوة حجاجية متجددة، قادرة على مواجهة الانهيارات الشاملة، لقد نجح الشاعر في نقل النص الشعري من مجرد رثاء للذات المستسلمة للواقع المرير إلى وثيقة سياسية قوية الصوت، تتخذ من الفخر والبطولات التاريخية مادة جدلية لاستعادة الكرامة المسلوبة، بذلك، تحول شعره من مجرد مرثية جنائزية إلى مرافعة سياسية عظيمة تسعى إلى إعادة الذات العربية والإسلامية من الضياع والتيه إلى آفاق العزة والسيادة، لذلك نجد أن" الشاعر لم يستغن في قصائده الاستنهاضية، عن أغراض الرثاء والمدح والفخر فحسب بل أكثر من الشكوى والعتاب والرجاء، بسبب ازدياد تردي الأوضاع العامة في جميع الصعد السياسية والاجتماعية والاقتصادية، مما يضيق بها الشاعر ذرعاً فيبحث عن متنفس ومخلص منها"[2]

ومن خلال التعمق في قصائد السيد حيدر الحلي، يدرك المرء أن هذه التجربة ليست مجرد انعكاس عاطفي لمأساة تاريخية مضت، بل هي بالفعل بيان حجاجي سياسي مصاغ بوعي يتجاوز نطاق الرثاء التقليدي، إذ أبدع الحلي ببراعة استثنائية في نقل القصيدة من حالة الندب الثابتة إلى حركة المحاكمة الديناميكية، محولاً الحدث التاريخي إلى منصة للنقد الحاد للواقع المعاصر وكشف تدهوره بفضل استخدامه الذكي للبنى اللغوية، وخاصة تكراره الإيقاعي المكثف لعبارات مثل (كم ومنكم)، فقد استطاع أن يحول الأداة النحوية إلى رابط شعوري يسجن المتلقي ويقوده ليصبح أكثر من مجرد مستمع؛ بل شاهداً وشريكاً في صياغة إدانة كبرى ذات طابع أخلاقي وتاريخي، بذلك يتحول النص إلى وثيقة سياسية واضحة لا تحتمل التأويل.

إن هذا التحوّل الوظيفي في استخدام الأغراض الكلاسيكية مثل الرثاء والفخر والمدح إلى وسائل للشكوى والعتاب يبرز الفطنة الحجاجية العميقة التي استخدمها الشعر كمنفذ وجودي لمواجهة الانسداد السياسي والاجتماعي في عصره، فلم يلجأ الحلي إلى الرموز الكبرى هروباً من واقعه بل استدعاها كمحرك أخلاقي لهدم بنية الهزيمة وتفكيك أسس الاستسلام في الوعي الجماعي، وهكذا تحوّل نصه من رثاء شخصي ينعى الانكسار

---

[1] . البناء الصوتي في القرآن الكريم / محمد حسن شرشر / 88

[2] . الاستنهاض في قصائد السيدين حيدر الحلي وجعفر الحلي الإمام المهدي عج انموذجا(دراسة موازنة موضوعية – اسلوبية)/ بلاسم حسن حمادي الخفاجي/ مجلة كلية التربية الاساسية / العدد 111/ المجلد27 / 1015

إلى مرافعة نهضوية شاملة تهدف إلى استعادة الكرامة وإعادة الذات من متاهات الضياع، لذا أصبح شعره صرخة دائمة ومناراً للثورة ضد جميع أشكال القهر والظلم.

- **الأفعال الحجاجية في لديوان السيد حيدر الحلي**

يُمثّل ديوان السيد حيدر الحلي فضاءً تداولياً تتجاوز فيه اللغة وظيفتها الإخبارية لتصبح أفعالاً إنجازية ذات قوة حجاجية قاهرة، فالشاعر لا يكتفي بوصف المأساة، بل يوظف الأفعال التوجيهية كالأمر والنداء لكسر حياد المتلقي واستنهاض مواقفه الأخلاقية وتتجلى عبقريته في تحويل الأفعال التعبيرية في الرثاء من مجرد بكائية إلى سحر حلال يمتلك سلطة الإقناع بعدالة القضية.

إن الخطاب الشعري عند الحلي مبني على قصدية حجاجية تسعى لترسيخ الهوية العقائدية عبر استحضار الذاكرة التاريخية كبرهانٍ قطعي، وتبرز في ثنايا قصائده القوة التأثيرية التي تجعل من الكلمة فعلاً واقعياً يهز الوجدان ويُعيد تشكيل القناعات السياسية والروحية، لقد نجح الشاعر في استثمار طاقات اللغة لإنتاج خطاب تداولي يجعل من المنبر منصة لإطلاق أفعال قولية عابرة للزمان والمكان، ويأتي هذا الديوان بتحقيق الدكتور مضر الحلي، ليؤكد أن شعر الحلي لم يكن ترفاً أدبياً، بل كان مشروعاً حجاجياً متكاملاً حيث تتشابك في نصوصه أساليب الاستشهاد والبرهنة مع العاطفة الجياشة، مما يمنح النص صبغة الفعل الكلامي المؤثر والمستمر.

إن (أفعال القول) في هذا الديوان هي محركات فكرية تهدف إلى إحداث تغيير في البنية الذهنية والوجدانية للجمهور المستهدف وبذلك تظل لغة الحلي الشعرية أنموذجاً فذاً لكيفية تحول النص الإبداعي إلى أداة حجاجية تخدم العقيدة وتبني مجداً خالداً.

- **رصد الأفعال الكلامية ذات الطابع الحجاجي**

تتنوع الأفعال الكلامية في ديوان السيد حيدر الحلي بين التوجيهات كالنداء والاستفهام والأمر التي تخرج الخطاب من رتابته لتمارس سلطة التحريض والطلب، وبين التقريريات التي تهدف إلى تثبيت الحقائق العقدية والتاريخية وترسيخها، ومن خلال رصد هذه الأفعال، يتضح كيف وظف الشاعر اللغة كأداة حجاجية فاعلة، إذ لا يتوقف الفعل الكلامي عنده عند المعنى اللغوي المباشر، بل يتجاوزه ليحمل قوة إنجازية مستلزمة تسعى إلى إحراج الواقع وإلزام المنادى بمقتضيات مسؤوليته، وبذلك تتحول الكلمة في ديوانه إلى موقف نضالي واحتجاجي صارخ، ينقل النص من مجرد التعبير عن الألم إلى فضاء الاستنهاض الفعلي.

لذلك أخترنا النداء كفعل كلامي متميز، فهو لا يتوقف في النصوص الأدبية ذات الصبغة الرسالية عند حدود طلب الإقبال أو التنبيه اللغوي المجرد، بل يتحول إلى بنية حجاجية متكاملة تهدف إلى التأثير في المتلقي واستمالته أو استثارة كوامنه، وفي هذا السياق تبرز قصيدة السيد حيدر الحلي كنموذج تطبيقي للنداء الحجاجي؛ حيث لم يعد المنادى مجرد مخاطب، بل أصبح طرفاً في محاكمة مفترضة يقيمها الشاعر بين واقع أليم ومسؤولية غائبة، فنجده يقول في مطلع قصيدته :

اللــه يا حـــــامي الشريعة أتقر و هي كذا مــروعة[1]

وهو هنا يستهل بيته بالنداء بلفظ الجلالة (الله) ليضفي قدسية على خطابه، محولاً النداء من مجرد وسيلة للتنبيه إلى أداة حجاجية ضاغطة وممهدة للسؤال الاستنكاري الذي يليه، ومن خلال مناداة الإمام بصفته (حامي الشريعة) بدلاً من اسمه المجرد، يضع الشاعر المنادى أمام مسؤولياته الرسالية، محققاً بذلك ما يُعرف بـ (إحراج الموقف)؛ إذ يجادل الشاعر بأن صفة الحماية لا تجتمع منطقياً مع السكوت عن واقع الشريعة (المروعة)، هذا الربط بين اللقب والواقع يهدف إلى استخدام الاستمالة العاطفية لتحريك الغيرة الدينية، وتحويل ألم الانتظار إلى قوة استثارة واحتجاج تدفع (الحامي) لكسر حاجز الصمت والمبادرة بالفعل والظهور.

ويبرز الاستفهام في خطاب السيد حيدر الحلي بوصفه فعلاً كلامياً توجيهياً يخرج عن وظيفته الاستخبارية المباشرة ليشحن النص بطاقة حجاجية عالية فهو يقول :

[1] . ديوان السيد حيدر الحلي/ ج1/ 127 .

متى يا رعاك الله طال انتظارُنا تقيم عمادَ الدين إذ هو مائل1

إذ يتجلى الفعل الحجاجي في شعر السيد حيدر الحلي بوصفه إستراتيجية خطابية متكاملة، حيث لا يكتفي الشاعر بتوظيف الاستفهام (متى) كأداة للسؤال فقط، بل يحوله إلى قوة استنهاضية غرضها الاستبطاء والتحريض، واضعاً المخاطب أمام مسؤولية الزمن الذي تجاوز حدود الصبر، ولإحكام القبضة الحجاجية يمزج الشاعر بين هذا الضغط الزماني وبين التلطف الاستمالي عبر جملة (يا رعاك الله)، التي تعمل كجسر عاطفي يمهد لقبول النقد ويفتح قنوات المودة قبل طرح المطلب الثقيل.

و تكتمل أركان الحجة عند الشاعر بتقديم توصيف واقعي صادم لحال الأمة، متمثلاً في قوله (إذ هو مائل)، ليحول الصورة الشعرية إلى دليل عقلي يستوجب التدخل الفوري لإنقاذ (عماد الدين) من السقوط الوشيك، ومن هذا التقرير الواقعي ينبثق فعل الاستنهاض في قوله (تقيم)، الذي يمثل أمراً مبطناً بصيغة المضارع، إذ يربط فيه الشاعر بين شرعية المخاطب وبين قدرته على الإصلاح والتقويم.

وبناءً على ذلك تقوم البنية الحجاجية في البيت على إستراتيجية المقابلة بين (سلبية الانتظار) و(إيجابية الإقامة)، بهدف نقل المتلقي من حالة السكون إلى ضفة الفعل، مستثيراً غيرته الدينية لإعادة استقامة ما مال من أركان العقيدة،

ونجد الشاعر يوظف اسلوب الأمر كفعل حجاجي فعال في قوله :

أفق لستَ أوَّلَ مَن لامني على وصل نفسي تحنانها2

إذ يتحول فعل الأمر (أفق) في مطلع البيت من صيغته الإنشائية المجردة إلى إستراتيجية حجاجية صدمية، تهدف إلى خلخلة يقين (اللائم) وكسر حالة الذهول التي تحجب عنه إدراك الحقيقة؛ فالشاعر هنا لا يتوخى الاستعلاء بل يسعى إلى إرساء سلطة معرفية تضع المخاطب في موضع الغافل، مما يمنح الشاعر أحقية الدفاع عن موقفه الوجداني.

وتتعزز القوة الإنجازية لهذا الفعل عبر اقترانه بحجة (الاستغناء التاريخي) في قوله (لستَ أوّل مَن لامني)، وهي حجة منطقية تُسفه فعل اللوم وتظهره بمظهر العبثي والتكرار غير المجدي، مما يجعل من (الإفاقة) ضرورة عقلية لا مجرد خيار، وبذلك يتجاوز فعل الأمر حدود الطلب اللغوي ليصبح إلزاماً بالاعتراف بخصوصية عاطفة الشاعر(تحنان النفس)، محولاً الخطاب إلى موقف احتجاجي يُفحم الخصم ويُنهي رتابة الجدل التقليدي بضربة حجاجية قاضية.

لذلك تتجلى حجاجية الخطاب في ديوان السيد حيدر الحلي من خلال تحويل البنى اللغوية إلى أفعال كلامية ضاغطة تتجاوز الوصف الساكن إلى الاستنهاض الفاعل؛ حيث يوظف الشاعر طاقات اللغة لـ (إحراج الموقف) وربط الصفات بالمسؤوليات الرسالية، مما يولد ضغطاً زمنياً ونفسياً يهدف إلى إنهاء واقع التردي، وتكتمل هذه المنظومة الحجاجية بممارسة (صدمة خطابية) تُفحم المعارض وتلزمه بالاعتراف بالحقائق الوجدانية والعقدية، مستنداً في ذلك إلى حجج تاريخية ومنطقية تُخرج الكلمة من حيز التعبير عن الألم إلى قوة إنجازية تهدف إلى استثارة الكوامن وإصلاح الواقع المائل.

- **تحليل نماذج مختارة من القصائد بحسب الوظيفة البلاغية (أمر،نهي،استفهام، قسم، تقرير) أنموذجاً**

يحتل ديوان السيد حيدر الحلي مكانةً مميزة في الأدب العربي الحديث، لا سيما في غرض (الرثاء الحسيني) الذي تفرد فيه بنفسٍ ملحمي وقوة سبكٍ عزّ نظيرها، ولا تكمن عبقرية الحلي في قدرته الوصفية فحسب، بل في توظيفه الذكي لـــ (الوظائف البلاغية) التي تتجاوز دلالاتها المعجمية لتؤدي أدواراً نفسية وتأثيرية عميقة في المتلقي.

إن تحليل نماذج مختارة من شعره يكشف عن شبكة معقدة من الأساليب، حيث يتحول الأمر والنهي من مجرد طلب للفعل أو الكف عنه إلى صرخات استنهاض تزلزل السكون، ويتحول الاستفهام من طلب العلم بمجهول

---

[1] . المصدر نفسه/ج1 /143.

[2] . ديوان السيد حيدر الحلي/ ج1/ 157 .

إلى أداة للتوبيخ أو التقرير أو إظهار التحسر، كما يبرز القسم كمرتكز عقدي يؤكد ثبات الموقف، بينما يشكل التقرير القاعدة الخبرية التي يبني عليها الشاعر حقائقه التاريخية والعاطفية.

تأتي هذه الدراسة لتفكيك هذه الأساليب في نماذج من قصائده، مبيّنةً كيف استطاع الحلي أن يجعل من البلاغة (قوة إقناعية) و(طاقة عاطفية) تخدم الغرض الكلي للنص، وتجعل من ديوانه مدرسةً في تلاقي الصنعة اللفظية مع صدق التجربة الشعورية وهنا نجد الشاعر يقول :

صهٍ أيُّها الناعي فنعيك يعطب عضضت الصفا لا بل حشا فاك إثلب[1]

نجد إن السيد حيدر الحلي يفتتح نصه باسم فعل الأمر (صهٍ) لا بوصفه مجرد وسيلة لطلب الكفّ عن الحديث، بل بوصفه استراتيجية حجاجية قائمة على (المصادرة والمنع)، فالحلي هنا يمارس سلطة خطابية عليا تهدف إلى شلّ فاعلية خطاب (الناعي) قبل استرساله؛ مخافة أن يتسلل ألم النعي إلى الوجدان فيعطبه.

إن (صهٍ) في هذا السياق تعمل كـ (قاطع منطقي) يعيد تشكيل علاقة المتلقي بالحدث، حيث ينقل الشاعر المواجهة من حيز (الاستماع السلبي) إلى حيز(الرفض الدفاعي)، ولم يقف الحجاج عند حدود الزجر الصوتي، بل استكمل بنيته في قوله (عضضت الصفا)، ليحول الفعل من مجرد نهي إلى إدانة أخلاقية وعقوبة معنوية للناعي الذي اجترأ على حمل خبرٍ يفوق طاقة الاحتمال البشري.

وبناءً عليه يرتفع أسلوب الأمر من وظيفته اللسانية المباشرة ليصبح أداة لهيكلة الموقف الحجاجي؛ فهو يرسخ عظمة الفاجعة عبر(تحريم ذكرها)، ويجعل من الصمت ضرورة وجودية لحماية الذات من التفتت، ممهداً بذلك الطريق لفرض رؤيته الشعرية التي ترفض التسليم بالانكسارفهو في قوله :

فاستبق ما أبقى الأسى من مهجة لك قد عصرت مع الدموع دماءها[2]

ينتقل من زجر (الناعي) الخارجي إلى مخاطبة (الذات المفجوعة) في الداخل، مستخدماً فعل الأمر(استبقِ) كأداة حجاجية تتجاوز طلب الإبقاء المادي إلى محاججة المتلقي بحقيقة الاستنزاف الوجودي الذي بلغه، فالأمر هنا لا يبحث عن استجابة فعلية بقدر ما يهدف إلى إقامة حجة (البرهان بالنتيجة)، حيث يضع الشاعر المخاطب أمام حقيقة نفاذ الصبر والمهجة التي لم يتبقَّ منها إلا القليل بفعل الأسى، مما يجعل الأمر نوعاً من (الترشيد المتأخر) الذي يكشف فداحة الفاجعة، وتتعزز هذه القوة الإقناعية عبر الجمع بين (الدموع) و(الدماء) في سياق العصر، وهي صورة بلاغية تحاجج المتلقي بأن المصاب قد تجاوز حدود البكاء الطبيعي ليدخل مرحلة النزيف الروحي الكامل، مما يمنح فعل الأمر صبغة تحذيرية تثبت استحالة الاستبقاء لا إمكانيته وبذلك، يتحول فعل الأمر من وظيفته اللسانية المباشرة إلى وثيقة إدانة للزمان الذي استهلك الروح، ليصبح الحجاج هنا وسيلة لترسيخ عظمة المأساة عبر إثبات أن ما تبقى من الذات لا يكفي لمواجهة هول ما حدثويستمر في بيان ذلم في قوله :

أدِر يا نديمي علينا الكؤوسا فقد شاقَت الراحُ منّا النفوسا[3]

إذ ينزاح فعل الأمر (أدِر) في هذا البيت عن معناه الإلزامي المباشر ليدخل فضاء الالتماس الحجاجي، حيث لا يستند الشاعر في طلبه إلى سلطة الآمر فقط، بل إلى قوة الرابطة التي تجمع بينه وبين (النديم)، مستخدماً النداء كتمهيد لتهيئة المخاطب وتليين موقفه قبل طرح الدعوى، وتتشكل بنية الحجة هنا من (طلب وتعليل)، إذ يطرح الشاعر دعواه بإدارة الكؤوس ثم يتبعها فوراً بسندٍ منطقي ووجداني مُقنع يتمثل في(شوق النفوس)، مستخدماً أدوات الربط السببية (الفاء، قد) لبيان أن هذا الأمر ليس عبثياً بل هو استجابة لضرورة نفسية ملحة، ومن زاوية (الحجاج بالعاطفة)، يصور الشاعر حالة الشوق كنوع من الألم الوجداني الذي يتطلب حلاً جذرياً، مما يضع النديم أمام مسؤولية أخلاقية وجمالية لتلبية الطلب بهدف إعادة التوازن النفسي للمجلس، ليتحول فعل الأمر في نهاية المطاف من مجرد صيغة صرفية إلى (آلية استمالة إقناعية) تربط بين لذة الراح وواجب الصداقة.

---

[1]. ديوان السيد حيدر الحلي/ ج2/ 111 .
[2] . المصدر نفسه/ ج1/64.
[3] . ديوان السيد حيدر الحلي/ ج2/ 67 .

ومن الواضح في ديوان السيد حيدر الحلي فاعلية الأفعال الكلامية وقدرتها على توجيه القصدية الحجاجية، فإنَّ الخطاب لا يكتفي بصيغ الطلب الموجبة المتمثلة في (الأمر) فقط، بل ينتقل بانسيابيةٍ دلالية إلى فضاء(الكف والامتناع) عبر أسلوب (النهي)؛ ليتشكل بوصفه فعلاً إنجازياً يتجاوز وظيفة (المنع المعجمي) إلى وظائف حجاجية وتأثيرية أعمق، وتتجلى هذه الانتقالة في تحول النهي إلى أداة للاحتجاج الوجداني في أنها تسعى لتعطيل المسارات الطبيعية للكون أمام فداحة المصاب، معتمدةً في قوتها الاستدلالية على بنية (النهي والبديل الإقناعي) التي ترفض السلوكيات المعتادة لتؤسس لمواقف استثنائية تناسب هول الرزية، وبذلك ينزاح النهي عند الحلي من حيز الكف الكلاسيكي ليصبح آلية استنهاضية تحفز المتلقي على رد الفعل، وتخلق لديه حالة من الحصار النفسي عبر نفي خيارات الصبر، مما يضطر الوجدان للانخراط الكلي في حرارة المأساة، محققاً بذلك أقصى درجات القوة التأثيرية في خطاب الرثاء فهو يختار صيغة النهي بقوله:

لا تحذرنَ فما يقيكَ حِذارُ إن كانَ حَتفُكَ ساقه المقدارُ[1]

ليتحول هذا الأسلوب متمثلاً بالفعل (لا تحذرنَّ) في هذا البيت من مجرد صيغة لغوية تطلب الكف عن الفعل إلى استراتيجية حجاجية محكمة تروم تشكيل وعي (الإنسان الثائر)، حيث يستهل الشاعر خطابه بنهيٍ مؤكد بنون التوكيد ليمارس سلطة أدبية تهدف إلى تقويض قناعة المخاطب بجدوى الحذر، محولاً إياه من سلوك وقائي منطقي إلى عائق وجودي يُثَبِط العزيمة ويمنع الإقدام، وبناءً على ذلك يبرز هذا النهي كفعل إنجازي يتجاوز المعنى الحرفي ليكون أداة تثبيت نفسية تعمل على إفراغ الخوف من مسوغاته العقلية وبث الشجاعة في روح المتلقي.

وتستمد القوة الإقناعية في هذا السياق فاعليتها من سُلَمٍ استدلاليٍ دقيق يبدأ بدحض الفرضية التي يستند إليها الحذرون، إذ يوظف الشاعر الرابط الحجاجي (الفاء) في (فما يقيكَ) ليقيم برهاناً تعليلياً يربط بين عجز الوسيلة المتمثلة في الحذر، وحتمية النتيجة المتمثلة في القدر المحتوم، وبهذه الصياغة يُحكم الشاعر قبضته الحجاجية عبر(حصر المسببات)، مبيناً أن استمرار الحذر في مواجهة (حتفٍ) يسوقه المقدار هو ضرب من العبث، مما يدفع المخاطب دفعاً نحو التسليم الشجاع والمواجهة المباشرة التي لا تعرف التردد.

وعند وضع هذا البيت في سياق (مدرسة الطف) التي تهيمن أفكارها على ديوان السيد حيدر، إذ نجد إن الحجاج يرتد لخدمة (فلسفة الشهادة) بامتياز، إذ ينقلب النهي عن الحذر إلى دعوة ضمنية للإقبال على الموت بفروسية ويقين، لذلك فإن تضافر (نون التوكيد) مع (أسلوب الشرط) يمنح النص نبرة تقريرية قاطعة تستأصل بذور الحيرة من نفس السامع، لترتقي بترك الحذر من مرتبة (التهور) المتوهمة إلى رتبة (اليقين الإيماني) الراسخة، وفي نهاية المطاف يتجلى البيت كبنية حجاجية متماسكة تنقل المتلقي من حيز القلق والترقب إلى فضاء الفعل النضالي، مؤكدةً بحجة دامغة أن الحذر لا يطيل الأجل إذا أزفت الساعة، وهو ما يؤدي في المحصلة إلى إسقاط كافة الدفاعات النفسية أمام نداء الواجب والبطولة فهو يقول:

لا تقل شملها النوى صدعته إنَّما شمل صبري المصدوعُ[2]

ففعل النهي (لا تقل) يتحول في ديوان السيد حيدر الحلي من وظيفته اللسانية المباشرة إلى استراتيجية حجاجية عليا تبتغي صياغة (تصحيح معرفي) لدى السامع، حيث يباشر الشاعر عبر هذا النهي قوة إنجازية تهدف إلى تقويض الأطروحة الشائعة التي تجعل من (النوى) سبباً وحيداً لشتات الشمل، فالبدء بصيغة النهي يمثل عتبة استهلالية لإحداث صدمة وجدانية تسلب الفراق سلطته التقليدية، ممهدةً السبيل لتحويل المركزية الحجاجية من المؤثرات القدرية الخارجية إلى عوالم الصبر الداخلية، وبموجب هذا المسلك يفلح الشاعر في توظيف النهي لخلق تقابل حجاجي عنيف بين فكرة مدحوضة تقصر الشتات على تفرق الأجساد وفكرة بديلة يؤصلها الشاعر ترى أن التمزق الوجودي الحقيقي يكمن في تهاوي حصون الإرادة وتصدع الصبر.

---

[1]. ديوان السيد حيدر الحلي / ج1/ 116 .
[2] . المصدر نفسه/ ج1/ 122 .

وتتعزز المضايفة الإقناعية لهذا الفعل الكلامي عبر اقترانه بالرابط الحجاجي (إنما)، الذي ينهض بمهمة (القصر) لحصر التصدع في (شمل الصبر) دون غيره مما يؤدي بدوره إلى تغيير المسار الحجاجي من رصد لوعات الفراق المادي إلى إعلاء قيمة المقاومة الروحية، ومن خلال هذه الهندسة اللغوية يفرض السيد حيدر(سلطة تصحيحية) تنقل المتلقي من الانفعال العاطفي السطحي إلى آفاق الفلسفة الذاتية، محولاً البيت إلى برهان قاطع يغلق المسالك أمام التأويلات التقليدية، ويجعل من فقدان التماسك الداخلي المصيبة الكبرى الجديرة بالرثاء والبيان، وفي نهاية المطاف يبرز الفعل الكلامي (لا تقل) كأداة حجاجية صلبة تنتزع الفاعلية من (البين) لتهبها لـ (الذات) مؤكدة ببرهان لا يلين أن انكسار الروح بانهيار صبر صاحبها هو الأحق بالاعتبار من مجرد شتات الشمل الظاهري ويؤكد ذلك بقوله:

لا تسمها جذب البرى أو تدري ربـة الخدر ما البرى و النسوع[1]

فنجد فعل النهي (لا تسمّها) يرتقي في بنية الخطاب عند السيد حيدر الحلي من مستواه الدلالي الأولي إلى استراتيجية حجاجية عليا تتوخى إحداث (تحول تنزيهي) في وعي المتلقي؛ إذ يستثمر الشاعر القوة الإنجازية لهذا الفعل لتقويض الأوصاف المادية التي لا تليق بمقام (ربة الخدر)، فمن خلال تصدير النص بصيغة النهي يمارس الشاعر نوعاً من (المنع الإدراكي) الذي ينزع المشروعية عن القوالب اللفظية الجافة (كجذب البرى)، ممهداً بذلك الطريق لانتقال المركزية الحجاجية من رصد المعاناة الحسية إلى استحضار هيبة العزة الداخلية التي تتسامى عن إدراك كنه تلك الأدوات الصعبة، وبموجب هذا المنهج ينجح النهي في خلق مسافة فاصلة بين عالم المبتذل المادي وفضاء القداسة الرمزية، محولاً (انتفاء المعرفة) بالأدوات (البرى والنسوع) من كونه دليلاً على الجهل إلى حجة برهانية قاطعة تؤكد رفعة الذات الممدوحة.

وتزداد القوة الإقناعية لهذا الفعل الكلامي عمقاً باقترانه بالاستفهام الإنكاري، الذي يضطلع بدور (التعليل البرهاني)، حيث يُحكم النص إغلاق منافذ التأويل بجعل (عزة الممدوحة) هي العائق المنطقي أمام صحة التسمية المنهي عنها، ومن خلال هذه الهندسة الخطابية يفرض السيد حيدر الحلي (سلطة تنزيهية) تنقل المتلقي من مجرد توصيف المصاب بأبعاده المادية إلى استبطان جلالته في أبعادها المعنوية، محولاً البيت إلى وحدة استدلالية تثبت أن عجز اللغة عن ملامسة واقع (المخدرات) هو التعبير الأسمى عن عظمة الفجيعة، وفي نهاية المطاف يتجلى الفعل الكلامي (لا تسمّها) كأداة حجاجية صلبة تنتزع الفاعلية من (قاموس الماديات) لتهبها لـ (فضاء الوقار والقداسة)، مؤكدةً عبر برهان نصي لا يلين أن جلالة الذات تقتضي لغةً تتجاوز المحسوس لترتقي إلى مقام الشهادة والرفعة الروحية.

وبناءً على ما تقدم من كفاءة حجاجية في أساليب الطلب (الأمر والنهي) عند السيد حيدر الحلي، ينتقل الخطاب بسلاسة نحو أدوات الاستفهام التي لم تعد تهدف في ديوانه إلى طلب العلم بمجهول، بل تحولت إلى أفعال كلامية استكشافية وتوبيخية تعزز المسار الحجاجي للنص، فالاستفهام عند الحلي يمثل آلية لزعزعة قناعات المتلقي واستدراج وعيه للمشاركة في حجم الفاجعة، حيث ينزاح عن وظيفته الاستفهامية المباشرة ليؤدي أغراضاً إنجازية كالتحسر والتقرير والإنكار بأسلوب يضيق الخناق على الخيارات المنطقية للمتلقي.

ومن خلال هذا الانتقال نجد أن الشاعر يوظف الاستفهام كأداة (تأزيم حجاجي)؛ فهو يطرح الأسئلة لا لينتظر جواباً، بل ليقيم الحجة على استحالة وجود جواب يشفي غليل المصاب، مما يجعل من أسلوب الاستفهام طاقة استنهاضية تحفز الوجدان وتجبره على الإقرار بعظمة الرزية ورفعة شأن المرثي، مكملاً بذلك ما بدأه الأمر والنهي في هيكلة الموقف الحجاجي الكلي للديوان ونجد ذلك في قوله:

كم ذا تطارح في منى ورقاءها خفض عليك فليس داوك داءها[2]

فالسيد حيدر الحلي يستهل قصيدته باستراتيجية حجاجية ذكية، يوظف فيها الاستفهام كفعل كلامي يتجاوز ظاهره الاستخباري ليفيد الإنكار والتعجب، غرضه زعزعة طمأنينة المخاطب وثقته بجدوى حزنه الراهن، ومن خلال

[1] . ديوان السيد حيدر الحلي/ج1/ 125 .
[2]. ديوان السيد حيدر الحلي / ج1/ 63 .

مساءلته عن (مطارحة الحمام)، يضع الشاعر المتلقي في موقف حرج يمهد لنقض أطروحته التقليدية عن الألم، ليأتي فعل الأمر (خفض عليك) كأداة إقناعية تهدف إلى التقليل من شأن الوجد العادي وتوهينه أمام عظمة ما سيأتي، ثم يبلغ الحجاج ذروته في الشطر الثاني عبر(البرهان بالمفارقة) في قوله (فليس داوك داءها)، حيث يقيم فصلاً حاسماً بين أنين الورقاء الغريزي وبين المصاب الوجودي الذي ينبغي أن يشتعل في صدر المخاطب، وبذلك يتحول البيت من مجرد مطلع وجداني إلى بنية حجاجية متكاملة، تمارس سلطتها التأثيرية لتوجيه (القصد الحزين) نحو الفاجعة الحسينية الكبرى، جاعلةً من هذا الداء المقدس المعيار الوحيد لصدق العاطفة وعمق الرثاء ونلاحظ أن السيد الحلي يوظف اسلوب الاستفهام توظيفاً آخر بقوله :

أترى يقلدني صحيفة شقوتي ويبز عنقي مدحها وثناءها[1]

إذ ينتقل السيد حيدر الحلي في هذا البيت من حجاج (توجيه العاطفة) إلى حجاج (الاستحقاق والجزاء)، مستثمرًا الاستفهام كفعل كلامي يتجاوز وظيفة الاستخبار ليؤدي غرض الاستبعاد والإنكار، فمن خلال أداة الاستفهام في قوله (أتُرى)، يطرح الشاعر تساؤلاً حجاجياً يستنهض عبره قيم الكرم والوفاء لدى الممدوح، واضعاً(الولاء الشعري) في تضادٍ مطلق مع (شقاء المصير)؛ وهو ما يمارس ضغطاً أدبياً وأخلاقياً يمنع عقلياً وشرعياً اجتماع المدح مع الشقاء في آن واحد، وتتكرس هذه البنية الإقناعية عبر آلية المقابلة بين وسيلة مادية هي (المدح والثناء) ونتيجة أخروية هي نزع (صحيفة الشقوة)، حيث توظف الاستعارة في (يبز عنقي) كفعل حجاجي إجرائي يطالب بفكاك الرقبة من التبعات مقابل الجهد الشعري المبذول، وبناءً على ذلك يتأسس الحجاج هنا على (منطق المقايضة الروحية)، التي تجعل من القصيدة وثيقة خلاص وحجة دامغة تحتج على فكرة الحرمان، ليرسخ الشاعر في ذهن المتلقي يقيناً حجاجياً مفاده أن موالاة الممدوح باللسان تشكل ضمانة أبدية تمنع تقلد قلادة الشقاء يوم الحساب ثم ينتقل الحلي الى نوع آخر من الحجاج في قوله:

ماذا أقولُ معزياً بنشائدي قطعتْ مهابتُكم لسانَ نشيدي[2]

إذ يجسد هذا البيت نموذجاً رفيعاً لما يُعرف بـ (حجاج العجز)، حيث يوظف السيد حيدر الحلي الاستفهام كفعل كلامي في قوله (ماذا أقول؟) ليتجاوز وظيفته الاستخبارية نحو غرض (التعجيز وإظهار القصور اللغوي) أمام هول المصاب، وتعتمد هذه الاستراتيجية الحجاجية على إعلاء شأن الممدوح عبر إعلان إخفاق الأداة البيانية في الإحاطة بعظمة مقامه، مما يضع المتلقي أمام قوة إقناعية مفادها أن الفاجعة قد تخطت حدود التعبير الحرفي، ثم تكتمل البنية المنطقية للبيت عبر (التعليل بالمضادة) في الشطر الثاني، حين يقدم الشاعر برهاناً يفسر فيه انقطاع نشيده بـ (سطوة المهابة)، محولاً الصمت من حالة خلوٍ من القول إلى أقصى درجات البلاغة التأثيرية، وبناءً عليه يتحول اعتراف الشاعر بالعجز إلى حجة دامغة تؤكد سمو قدر المرثي، حيث يغدو (انقطاع اللسان) دليلاً وجودياً حجاجياً يرسخ في ذهن المتلقي فكرة أن جلال الموقف يقتضي صمتاً هو في جوهره أبلغ من كل نشيد.

لذلك نستطيع أن نقول إن الخصوصية الحجاجية في رثائيات السيد حيدر الحلي تتمثل في قدرته الفائقة على تحويل الاستفهام من مجرد صيغة لغوية إلى فعل كلامي ذي أبعاد تداولية وإقناعية عميقة؛ حيث يرسم الشاعر من خلاله مساراً حجاجياً تصاعدياً ينطلق أولاً من(حجاج التوجيه العاطفي) الذي يسعى لزعزعة المألوف ونقض أطروحة الحزن التقليدي (مطارحة الورقاء) لصالح تأسيس (الداء الحسيني) كمرجعية وحيدة لصدق الوجد، ثم يتطور هذا المسار نحو (حجاج الاستحقاق والتعاقد)، الذي يصيغ فيه الشاعر علاقة جدلية بين (الثناء الشعري) كفعلٍ دنيوي و(الخلاص) كجزاءٍ أخروي، محولاً القصيدة إلى حجةٍ دامغة ووثيقة أمانٍ تمنع شقاء المصير.

وفي ذروة هذا البناء يبرز (حجاج العجز والمهابة) كأرقى الاستراتيجيات الإقناعية عند الحلي؛ إذ يوظف الشاعر (إخفاق اللغة) و(توقف النشيد) كبراهين وجودية تعكس عظمة الممدوح التي تجاوزت حدود العبارة، وبذلك

---

[1]. المصدر نفسه / ج1/ 72 .
[2] . ديوان السيد حيدر الحلي / ج2/ 152 .

ينتقل الخطاب من رثاءٍ وجداني مجرد إلى (مراغمة حجاجية) فاعلة تهدف إلى إعادة صياغة الوعي الروحي للمتلقي، جاعلةً من الصمت في حضرة المهابة أبلغ فعل كلامي، ومن الكلمة الصادقة أداةً مركزية للنجاة واليقين.
وبعد أن استقصينا فاعلية أساليب الطلب (الأمروالنهي والاستفهام) في تشكيل الاستجابات النفسية، نجد خطاب السيد حيدر الحلي يرتفع بمستواه الحجاجي من فضاء (الاستمالة) إلى فضاء (الإلزام العقدي) عبر أسلوب القسم، فالقسم في ديوانه ليس زخرفاً لفظياً بل هو فعل كلامي إنجازي يسعى لترسيخ اليقين ونفي الاحتمال؛ إذ ينقل المأساة من سياق السرد العاطفي إلى حيز الحقيقة الوجودية المطلقة، ومن خلال استدعاء (المُقسَم به)، يؤسس الشاعر لمرجعية عليا تمنح مواقفه صبغة القداسة، وتحوّل القسم إلى جسرٍ حجاجي يربط بين صدق التجربة الشعورية ورسوخ العقيدة، فنجد في أحد أبيات قصائده يقول :

لعمري لئن لم يَقضِ فوق وِساده فموتُ أخي الهيجاء غير موسّد[1]

ففي هذا البيت نجد الخطاب الحجاجي ينبني على استراتيجية تداولية تبدأ بـ (الفعل الكلامي الإنجازي) المتمثل في القسم (لعمري)؛ إذ ينتقل الشاعر بهذا الاستهلال من مجرد الإخبار إلى مرحلة (الالتزام) بمضمون القضية، محققاً بذلك قوة إنجازية تهدف إلى محاصرة شكوك المتلقي ودفعه نحو التصديق المطلق عبر رهانه على قيمة (العمر).
وتتأكد هذه القوة البرهانية من خلال(البنية الشرطية الاستدلالية) التي صاغها الشاعرلربط المقدمات بالنتائج؛ حيث رسمت أداة الشرط مساراً منطقياً يحصر خيارات المصير في احتمالين متقابلين، مما يجعل من نفي (موت الوسادة) إثباتاً حتمياً ووحيداً لموت العزة، وتوجيهاً ذهنياً للمخاطب للإقرار بضرورة هذا الاستنتاج.
كما استند المسار الحجاجي إلى(التعريف بالملازمة والماهية) في وصفه للبطل بـ(أخي الهيجاء)؛ وهو توصيف يمرر حجة ضمنية مفادها أن النتيجة (طريقة الموت) يجب أن تتطابق مع الهوية (طبيعة الفارس)، مما يجعل الموت (غير الموسّد) استحقاقاً وجودياً تفرضه الملازمة بين المحارب وميدانه، لا مجرد حادثة عابرة.
ويكتمل هذا النسق الحجاجي بتوظيف (المفارقة الضدية) بين (الوسادة) و(عدم التوسد)؛ وهي مقابلة لا تهدف إلى الوصف المادي، بقدر ما تسعى إلى خلق تمايز قيمي بين العجز والبطولة، حيث ينجح الشاعر في تحويل دلالة الموت من صورتها الجنائزية المنفرة إلى صورة ملحمية تتسق مع المنظومة الأخلاقية للمجتمع العربي، مما يضمن في نهاية المطاف التسليم العقلي والوجداني بوجاهة هذه الرؤية وللشاعر رؤيا أخرى في قوله:

قسما بأيدي الراميات الى منى عنقا تسير[2]

ففي هذا البيت ينبثق البعد الحجاجي من استثمار الشاعر لـ (الفعل الكلامي الإنجازي) الكامن في صيغة القسم (قسماً)؛ إذ يتخطى المتكلم بها الوظيفة اللغوية الوصفية ليؤسس (ميثاقاً تداولياً) يربطه بالمتلقي، محققاً بذلك قوة إنجازية ترهن صدقية القضايا الاستنهاضية اللاحقة بعظمة هذا الالتزام الابتدائي.
وتتكرس هذه القوة عبر استراتيجية (الاستدلال بالمقدس)، حيث إن اختيار المُقسَم به المرتبط بشعائر الحج (أيدي الراميات، منى) يستحضر مرجعية قيمية عليا في الوجدان الجمعي؛ وهي تقنية حجاجية تهدف إلى تحصين الدعوى ضد أي تشكيك محتمل، من خلال توجيه ذهن المخاطب لقبول الأطروحة المركزية بناءً على قدسية المقدمات.
وفي ذات السياق يرتكز البيت على(الحجة بالتماثل الرمزي)، فالمزاوجة بين سرعة الإبل (عنقاً تسير) والوجهة المقدسة تخلق معادلاً موضوعياً لسرعة الاستجابة لنداء التضحية، مما يحول المشهد الشعائري إلى برهان بصري يحث على المبادرة التاريخية والبطولة.
ويُتوج هذا النسق الاستدلالي بإحداث حالة من (الانتظار المنطقي) لدى السامع؛ فتعليق جملة القسم يجعل من تلقي (المدعى) ضرورة ذهنية لا تكتمل إلا بسماع الجواب، وبذلك ينجح الشاعر في إلزام المخاطب منطقياً

---

[1]. ديوان السيد حيدر الحلي / ج1/ 99 .
[2]. المصدر نفسه/ ج1/ 250 .

وأخلاقياً بالقبول بالمواقف العقدية والسياسية التي تمثل جوهر القصيدة، محققاً غاية الحجاج في الإقناع وتعديل قناعات المتلقيوفي بيت آخر يقول الشاعر :

فوالله ما أدري أهل نثر ساحر على الطرس يبدو منه أم سحر ناثر[1]

إذ يتأسس الخطاب الحجاجي في هذا البيت على توظيف الشاعر للقسم باعتباره (فعل كلامي) متمثلاً في القسم (فوالله)، وهو فعل يتجاوز وظيفته التقليدية في تأكيد التقرير ليتحول إلى أداة لتأكيد (الحيرة الوجدانية)؛ إذ يستثمر الشاعر قدسية القسم لنقل انبهاره من حيز المبالغة الفنية إلى حيز الحقيقة الواقعية الملزمة للمتلقي، مما يضفي مشروعية مطلقة على وصفه للممدوح أو النص الموصوف.

وينبني المسار الإقناعي هنا على (استراتيجية التردد الحجاجي) الكامنة في الاستفهام (أهل نثر ساحر... أم سحر ناثر)، حيث يضع الشاعر المخاطب أمام خيارين يشتركان في جوهر (السحر)، وهي تقنية تداولية تهدف إلى حصر ذهن المتلقي في نتيجة حتمية واحدة وهي (الإعجاز)؛ فبغض النظر عن ماهية الموصوف، فإن أثره الطاغي يظل ثابتاً لا يقبل النقض.

كما يرتكز الحجاج على آلية (التجانس والقلب) (نثر ساحر/ سحر ناثر)، وهي بنية بلاغية تهدف إلى إرباك المقولات المنطقية الجاهزة لدى المتلقي لتمرير فكرة (تجاوز المألوف)، حيث يمحو الشاعر الحدود الفاصلة بين الأجناس الأدبية والقوى الغيبية، مُلزماً المتلقي بالتسليم ببلوغ الموصوف ذروةً إبداعية تتخطى حدود التفسير التقليدي.

ويُتوج هذا النسق الاستدلالي بتحويل النفي (ما أدري) من دلالة الجهل إلى دلالة (الشهادة الحجاجية) على العجز عن الإدراك؛ فعدم المعرفة هنا ليس قصوراً في المتكلم، بل هو دليل قاطع على تفرد الموصوف وسموه، وبذلك ينجح الشاعر عبر (القسم على الحيرة) في إقناع المتلقي بأن ما هو مدون على (الطرس) يمثل ظاهرة خارقة للعادة، محققاً بذلك الغاية الإقناعية في ترسيخ صفة العظمة والجمال المطلق.

وعليه فإن الهيكلية الحجاجية في ديوان السيد حيدر الحلي ترتكز على (الأسلوب التقريري) بوصفه الركيزة الخبرية والمحرك المنطقي الذي يستمد منه الطلب والقسم مشروعيتهما التأثيرية؛ حيث يتسامى هذا الأسلوب عن كونه إخباراً سكونياً ليغدو فعلاً كلامياً تقريرياً يمارس هيمنة معرفية، ويصيغ الحقائق الوجدانية في أطر استدلالية قطعية تتجاوز احتمالات النقض أو المساءلة.

وتبدو القوة الإقناعية في هذا النسق عبر براعة الشاعر في زحزحة الرؤية الذاتية من نطاق التأثر الفردي إلى رحاب (الموضوعية التقريرية)، الأمر الذي يُلزم المتلقي بالانصياع لحتمية الفاجعة وشموليتها، ومن خلال هذا التوظيف التداولي، تتحول الأدوات البلاغية من مجرد قيم جمالية إلى حجج واقعية ملزمة، توثق دعائم الالتزام العقدي وتؤطر الشحنة العاطفية في النص بوصفها حقيقة تاريخية ووجودية لا تقبل الجدل. ويردف قائلاً في بيت آخر:

ألم ترها لم تذر دمعة تأكل ولم ينصدع شمل لها متألف[2]

إذ يُجسّد هذا البيت نموذجاً استثنائياً في استثمار أسلوب التقرير كفعل كلامي، حيث يطوّع السيد حيدر الحلي رصانة اللفظ لبناء استدلال منطقي يُلزم المتلقي بالتسليم بمضمون الحجة دون تأويل.

وتبدأ هذه العملية الحجاجية من الاستفهام التقريري في قوله (ألم ترها)، وهو فعل كلامي يتجاوز السؤال عن المجهول ليصبح أداة ضغطٍ منطقي تُجبر المخاطب على الإقرار بالواقعة؛ إذ إن اقتران الهمزة بالنفي ينقل المشهد من حيّز الوصف العابر إلى حيّز الشهادة العينية، محوّلاً الرؤية إلى برهانٍ ماديّ يقطع بصلابة الموقف ورباطة جأش الموصوف.

وتتجلّى البنية الحجاجية في البيت عبر تقابلٍ محكم بين النفي والإثبات؛ فمن خلال نفي الانهيار العاطفي في الصدر (لم تذر دمعة تأكل)، يمهّد الشاعر منطقياً للنتيجة القائمة في العجز وهي نفي التفكك (لم ينصدع شمل

[1] . ديوان السيد حيدر الحلي/ ج2/ 65 .
[2] . ديوان السيد حيدر الحلي / ج1/ 133 .

لها)، هذا التلازم يبني حجةً مفادها أن صلابة الجزء هي الضامن الوحيد لتماسك الكل، وأن الاستعصاء على الدمع هو المقدمة الضرورية لحفظ نظام الجماعة.

كما تتعزز القوة الإقناعية بآلية النفي التكراري (لم)، التي تحصر الاحتمالات وتستبعد كلياً أي مظهر من مظاهر الهزيمة النفسية، مدعومةً بتوظيفٍ دلالي لافت في كلمة (تأكل)؛ حيث صوّر الشاعر البكاء كقوةٍ استنزافية للذات، ليكون نفيُه إعلاناً صريحاً عن بلوغ أقصى درجات المنعة ويصهر السيد حيدر الحلي في قوله:

ألم يأتكم أن الحسين تنازعت حشاه القنا حتى ثوى في ثرى الطف[1]

رهافة الحس مع صرامة المنطق، مستثمراً التقرير كفعل كلامي لتحويل المصاب الكربلائي من واقعة تاريخية إلى قضية عقلية ووجدانية ملزمة، تتجاوز حدود الإخبار لتستقر في حيز اليقين الحجاجي.

ويبدأ المسار الحجاجي عبر الاستفهام التقريري في قوله (ألم يأتكم)، وهو استهلال إنجازي يهدف إلى محاصرة المتلقي منطقياً وإلزامه بالإقرار بالواقعة، محوّلاً (الخبر) من مجرد معلومة تصل إلى السمع إلى مسؤولية أخلاقية تفرض على السامع اتخاذ موقف، مما يعزز الحجة باستنهاض العاطفة من بوابة الإلزام العقلي.

أما البنية الحجاجية للبيت، فتتأسس على تقديم (الصدمة التصويرية) كدليلٍ على جسامة التضحية؛ إذ يعمد الشاعر إلى تكثيف حجاجي في لفظة (الحشا) ليقرر بشاعة الانتهاك الذي طال أرق المواضع وأشدها عمقاً، ثم يربط ذلك بـ (حتى) الغائية في قوله (حتى ثوى)، ليؤكد حجاجياً أن الاستشهاد كان النتيجة الحتمية والغاية القصوى لهذا التفاني الملحمي.

كما تتعزز القوة الإقناعية بآلية الاستدلال بالمحسوس، حيث تتحول الرماح (القنا) في تنازعها إلى حجة بصرية مادية تجسّد الألم وتستدر التعاطف الإنساني الفطري، مدعومةً بـ (حجة التلازم المنطقي) التي تربط بين تمزق الجسد والقرار في الثرى، لتثبت أن هذا الرحيل لم يكن غياباً عادياً بل كان خاتمةً لملحمة فدائية فريدة وفي بيت آخر نجده:

أليس دأباً كفها مملوءة من كفه البيضاء في أرفادها[2]

يُحيل اللغة الشعرية من وظيفتها الوصفية التقليدية إلى وظيفة برهانية استدلالية، حيث يُوظف الشاعر أسلوب التقرير كفعل كلامي ليرتقي بصفة الجود من حيز الثناء العاطفي إلى فضاء الحقيقة المطلقة التي تأبى الجدل.

ويتجلى المسار الحجاجي في النص بدءاً من (الاستفهام التقريري ـــ أليس)، الذي يعمل كفعل إنجازي يهدف إلى محاصرة المتلقي وإلزامه منطقياً بالإقرار بمضمون الخطاب؛ فهذه الصيغة الاستفهامية ليست طلباً للفهم، بل هي أداة ضغط تمنع الإنكار وتؤكد أن عطاء الممدوح يمثل (الدأب) المستمر والقانون الثابت، لا مجرد استجابة عارضة أو فعل اختياري.

أما البنية الحجاجية فتنهض على (حجة الديمومة) المستقاة من مفهوم (الدأب)؛ وهو اختيار معجمي ذو أثر إقناعي عميق، يقرر عراقة السجية وتأصل العطاء كفعل كينوني، حيث أقام الشاعر تراتبية منطقية تربط بين المنبع (الكف البيضاء) و الأثر (امتلاء كف السائل)، محولاً العطاء إلى علاقة حتمية بين السبب والنتيجة.

كما تتعزز القوة الإقناعية للنص بآليات استدلالية تجمع بين الرمز والمادة؛ فوصف (الكف البيضاء) يمثل حجة رمزية تقرر الطهر والمشروعية الأخلاقية للعطاء، بينما يشكل (امتلاء الكف) برهاناً مادياً ينقل الحجاج من التجريد الذهني إلى الواقع الملموس، مما يصبغ دعوى الشاعر بصبغة اليقين القطعي.

وفي الختام تظهر القصدية الحجاجية في تثبيت صفة (الإرفاد) كجوهر ثابت في ذات الممدوح، إذ يتجاوز الشاعر حدود المديح التقليدي ليصيغ (واقعاً) يصمد أمام التشكيك، محولاً الجود من فعل إرادي إلى (طبيعة كلية) يُذعن لها المتلقي؛ وبذلك يستحيل البيت فعلاً حجاجياً متكاملاً، صيّر فيه السيد حيدر الحلي الاستفهام أداةً للتثبيت، والوصف برهاناً عقلياً يؤكد أن جود الممدوح هو نظام كوني ثابت لا يقبل التخلف.

---

[1] . المصدر نفسه / ج1/ 138 .

[2] . ديوان السيد حيدر الحلي / ج2/ 142 .

ويستثمر السيد حيدر الحلي الأسلوب التقريري كفعل كلامي يتجاوز الوصف إلى الإلزام المنطقي، حيث يحول عواطفه إلى حقائق موضوعية تفرض سلطتها على المتلقي، ففي حجاجه ينتقل بالرؤية من مجرد مشاهدة إلى شهادة عينية تثبت صلابة الموقف، ويحول الخبر التاريخي إلى مسؤولية أخلاقية تُجسد عظمة التضحية بيقين مادي، كما يرتقي بالصفات الإنسانية كالجود لتصبح قوانين ثابتة وطبيعة متأصلة لا تقبل الجدل، وبذلك ينجح الشاعر في صهر المنطق بالوجدان، ليصيغ نصاً يعمل كوثيقة حجاجية تُحيل المشاعر إلى مسلمات يقينية وتاريخية تجبر السامع على التسليم بها.

- **التفاعل بين البعد الحجاجي والديني في ديوان الحلي**

تنهض التجربة الإبداعية لدى السيد حيدر الحلي على مزجٍ استراتيجي بين البعد الديني (بوصفه منطلقاً لليقين العقدي) والبعد الحجاجي (بوصفه أدوات للتقرير والإقناع)، فالشاعر في مراثيه ومدائحه لا يقف عند حدود الاستثارة العاطفية العابرة، بل يعمد إلى تحويل الوقائع التاريخية إلى مسلمات برهانية؛ مستمداً زخمها من قداسة المنظومة الدينية ومنطق الخطاب التداولي، مما يجعل النص وثيقة احتجاجية دامغة لا مجرد رثاءٍ باك، ويمكن تتبع هذا التفاعل الحيوي عبر المحاور الأساسية التالية:

أولاً : حجاج اليقين العقدي عبر التقرير الاستفهامي

تتجلى عبقرية الخطاب الشعري المؤثر في تلك الرابطة الوثيقة بين رسوخ اليقين العقدي وديناميكية الحجاج الخطابي، فهنا ينبعث التقرير الاستفهامي لا لطلب خبر أو استيضاح مجهول، بل كخطة حجاجية محكمة تروم تحويل المعتقدات القلبية الراكدة إلى طاقة استنهاضية فاعلة، تفرض على المتلقي اتخاذ موقف لا محيد عنه، ونجد ذلك واضحاً في قول الشاعر :

ألم يأتكم أن الحسين تنازعت حشاه القنا حتى ثوى في ثرى الطف[1]

إذ يتجلى التلاحم بين المعتقد الديني والبراعة الحجاجية في قول السيد حيدر الحلي(ألم يأتكم أن الحسين تنازعت)؛ حيث يوظف الشاعر التقرير الاستفهامي توظيفاً استراتيجياً يتجاوز حدود الاستخبار إلى آفاق التثبيت والاحتجاج، فعقائدياً يستند النص إلى أرضية صلبة من اليقين بمظلومية الإمام الحسين عليه السلام، محولاً إياها من مجرد واقعة إلى قوة حجاجية ملزمة؛ فاستخدام التركيب (ألم) يقلب النفي إثباتاً قسرياً، مما يُحاصر المتلقي ويضعه أمام حتمية الموقف والمسؤولية، إذ يصبح الإقرار بالعلم بالواقعة مدخلاً لزوماً لنصرة المبدأ.

أما في سياق الصورة الشعرية، فإن الشاعر ينتقل من الإخبار المجرد بالواقعة إلى التجسيد المأساوي في وصفه لـ (تنازع الحشا والقنا)؛ وهي صورة حجاجية مكثفة تستحضر قداسة الجسد المنتهك لاستثارة العاطفة العقدية الكامنة، بغرض تحويلها إلى طاقة استنهاضية فاعلة، ويعول الحجاج هنا على آلية استدرار العطف المقترن بالتقريع، ليغدو اليقين بالقدسية (سوطاً) يقرع ضمائر القاعِدين، ويُتمم الشاعر مشهده باستحضار(ثرى الطف) ليس كمكان جغرافي فحسب، بل كفضاء عقدي يجسد الصراع الأبدي بين الحق والباطل، حيث يشي الفعل (ثوى) باستدامة المظلومية وبقاء أثرها، مما يمنح حجة الاستنفار دفعاً معنوياً مستمراً.

وعليه يمكن القول إن النص يعالج معضلة (المعرفة المعطلة)؛ فجاء التقرير الاستفهامي أداةً لتفعيل اليقين العقدي ونقله من حيز الإيمان القلبي الساكن إلى حيز الموقف الحركي المعلن، إن السيد حيدر الحلي في هذا المقام لا يوجه رثاءه للأموات، بل يقيم حجة اليقين على الأحياء، متقمصاً دور(المحقق) الذي يواجه الجمهور بحقائق دامغة لا سبيل لجحودها، ليجعل من الصمت تناقضاً صارخاً مع جوهر العقيدة، ومحوّلاً المأساة التاريخية إلى قضية حجاجية كبرى تستهدف إحياء الضمائر واستنهاض الهمم.

ثانياً : حجاج الديمومة واستحضار الصفات الإلهية في المديح

يُمثّل الخطاب الشعري عند السيد حيدر الحلي أنموذجاً فريداً للمديح الذي يتجاوز رصد الفضائل العارضة إلى ممارسة (حجاج الديمومة)؛ وهي استراتيجية بيانية تهدف إلى نقل صفات الممدوح من حيز الاكتساب البشري الخاضع لصيرورة الزمن، إلى فضاء الوجود الأنطولوجي الأزلي، لذا فإن الحلي في ديوانه لا يمدح ذواتاً بقدر

[1] . ديوان السيد حيدر الحلي/ ج1/ 138 .

ما يؤصل لـ (ماهيات مقدسة)، حيث تبدو العظمة في شعره قدراً محتوماً وصفةً ذاتية لا تنفك عن الممدوح في أي طور من أطوار حياته ويوضح ذلك في قوله:

ألست من القوم الذين وليدهم يرشح طفلا للعلى وهو في المهد[1]

فالسيد حيدر الحلي يستخدم في هذا البيت (حجة الديمومة) كاستراتيجية حجاجية تهدف إلى إخراج المجد من إطار الاكتساب البشري المرتبط بالزمن، وإلحاقه بسياق الوجود الأنطولوجي الأبدي؛ فالشاعر هنا لا يقتصر على مدح شخص بمآثره، بل يؤصل لمفهوم قدسية تتجاوز الزمن.

وتتجلى هذه الديمومة ابتداءً في تأصيل العلى داخل الذات، حيث ينفي الشاعر مفهوم (الصيرورة) ليؤكد أن الممدوح عظيم بضرورة التكوين لا بظروف التعلم؛ وبذلك يتحول المجد إلى خصلة فطرية دائمية تلازم الإنسان منذ تكوينه الأول، مما يلغي فكرة التراكم الزمني ويجعل المصدر منحصراً في نقاء السلالة وطهر النسل.

كما ينتقل الحجاج نحو كسر (الزمن الفيزيائي) عبر استحضار رمزية (المهد)؛ إذ تستمد الحجة قوتها من تلك المفارقة الصارخة بين ضعف الطفولة البشري وبين عظمة العلى الناجزة، وهو ما يعزز فكرة أن الزمن لا يملك سلطة التغيير على جوهر هؤلاء القوم، بل تظل مراحلهم العمرية مجرد قوالب زمنية لجوهر ثابت ومعدّ سلفاً لا تطاله المتغيرات.

وفي هذا السياق يبرز مصطلح (الرشح) كمرتكز فلسفي يربط ديمومة المجد بالصفات الإلهية وفق نظرية (الفيض)؛ فالكمال ينبثق من ذواتهم تلقائياً كفيضٍ فائض عن الحاجة حتى في سكونهم، مما يرفع الممدوح إلى مرتبة المصدر الذي يتدفق منه المجد بلا انقطاع، ويخلق هوة حجاجية تجعل من محاولة مقارنته بالآخرين أمراً متعذراً.

وأخيراً تتشكل بنية الديمومة في البيت بوصفها جسراً رابطاً بين الماضي الموروث (القوم)، والحاضر المتجسد (الطفل)، والمستقبل المحتوم (السيادة المطلقة)؛ لينقلب المديح من مجرد رصد لمناقب عارضة إلى بيان لقانون كوني ثابت، يكرس العظمة كحالة وجودية سرمدية تلازم الممدوح من الأزل إلى الأبد.

ثالثاً : حجاج التلازم المنطقي بين الفرد والرسالة

يقوم حجاج التلازم المنطقي على فكرة جوهرية مفادها أن الفرد ليس مجرد ناقل سلبي للفكرة، بل هو البرهان الحي على صحتها وفاعليتها، ففي المنطق الحجاجي لا تُقاس قوة الرسالة سواء كانت دينية، سياسية، أو فكرية بمجرد بلاغة نصوصها، بل بمدى انعكاسها على سلوك الحامل لها في لحظات الأزمات الكبرى ونجد ذلك في ديوان السيد حيدر الحلي فهو يقول:

ألم ترها لم تذر دمعة تأكل ولم ينصدع شمل لها متألف[2]

إذ يرتكز البيت على فلسفة حجاجية عميقة تُقيم تلازماً منطقياً بين سلوك الفرد وصلاحية الرسالة؛ إذ يتحول الجسد من سياقه البيولوجي المجرد إلى منصة إجرائية وقوة برهانية تُثبت صدق القضية عبر تماسك حاملها، وتتجلى في نفي ذرف الدمعة سيميائية حجاجية تحول صمود الجوارح إلى وثيقة رسالية، حيث إن تعطيل الاستجابة الفطرية للألم (الدمعة التي تأكل) يبرهن موضوعياً على هيمنة المحرك العقائدي على الدفة الشعورية للفرد، وعبوره بها من اضطراب العاطفة إلى سكون اليقين.

ومن هذا المنطلق ينتقل الحجاج من المستوى الفردي إلى الفضاء الجماعي عبر استدلال بالتبعية، فالشاعر يربط بين استقامة حال الجماعة (الشمل المتألف) وثبات الذات، معتبراً تماسك الجماعة ثمرة حتمية لصلابة الفرد الرسالي، وبذلك يستحيل الصبر من فضيلة أخلاقية ذاتية إلى ضرورة استراتيجية تمنع تشتت القضية، محولاً الصمود الشخصي إلى طاقة تجميعية تحمي الرسالة من الانصداع السياسي أو الاجتماعي.

وفي ضوء الأنطولوجيا الرسالية يكرس البيت مفهوم التجاوز الديني الذي تذوب فيه الذات ضمن الغاية الأسمى، فيغدو الثبات حالة من الطمأنينة المتجاوزة للقدرة البشرية المعتادة، مما ينقل المشهد من سياق المأساة الفردية

---

[1]. ديوان السيد حيدر الحلي/ ج2/ 46 .

[2] . ديوان السيد حيدر الحلي/ ج133/1.

إلى أفق الملحمة الجماعية، ويختتم البيت فاعليته بـإفحام الخصم عبر آلية الاستدراج بالحكاية، حيث يضع الاستفهام التقريري (ألم ترها) المتلقي أمام صدمة حجاجية تكسر توقعاته بالانهيار، وتُجبره قسراً على الإقرار بعظمة المبدأ الذي صان الدمع وحفظ الشمل من الانكسار.

رابعاً : حجاج المظلومية والاحتجاج بالقيم الإلهية

يرتقي الرثاء في ديوان السيد حيدر الحلي من مستواه الوجداني العاطفي ليصبح 'نسقاً حجاجياً ذا بعدين؛ الأول يرتكز على إظهار المظلومية كخروج صارخ عن النواميس الكونية، والثاني يعتمد على مرجعية القيم الإلهية والنصوص المقدسة لمحاكمة الظالم وتعرية زيف سلطته، مؤكداً بذلك الغلبة الأخلاقية والروحية للمظلوم وخلود مبادئه مقابل زوال القوة المادية ويتجسد هذا المفهوم في قوله :

عَثرَ الدهرُ ويرجو أن يُقالا تَربت كفُّك من راجٍ محالا[1]

إذ يظهر الشاعر حجاج المظلومية من خلال تشخيص (الدهر) وجعله خصماً وجانياً وقع في خطيئة كبرى، واصفاً ما حدث في كربلاء بأنه (عثرة) أصابت الزمان وأدت إلى اختلال الموازين الكونية بقتل سبط النبي.

ويؤكد الشاعر على استحالة التكفير عن هذا الذنب في قوله (تربت كفك من راجٍ محالا)، معلناً رفضه القاطع لاعتذار الدهر، ومشيراً إلى أن الجريمة التي وقعت بحق أهل البيت قد تجاوزت حدود الغفران البشري والزماني، مما يعمق من عظمة المظلومية في وجدان المتلقي.

أما الاحتجاج بالقيم الإلهية فيتجلى من خلال سمو الذات المظلومة وارتباط دماء الحسين بالحق الإلهي المطلق، مما يجعل إقالة تلك العثرة أمراً مستحيلاً لأن الاعتداء عليه هو اعتداء على القيم التي أرادها الله في الأرض.

ويضع الشاعر (رجاء الدهر) كقيمة زمنية فانية في مواجهة (العدالة الإلهية) كحق مطلق، موضحاً أن الدهر الذي خان الأمانة بقتل أولياء الله لا يستحق الاستغفار، وهو ما يعكس قيمة العزة الإلهية حيث يبدو المظلوم رغم قتله هو الأقوى أخلاقياً، بينما يقف الدهر بكل جبروته موقف الذليل الذي لا يُقبل عذره.

وفي الختام يقيم السيد حيدر الحلي في هذا البيت حجة منطقية وعاطفية مفادها أنه إذا كان الزمان نفسه قد أدرك فداحة ما فعل وحاول الاعتذار، فكيف لا يدرك البشر ذلك؟ إلا أنه يغلق باب الاعتذار ليؤكد أن المظلومية بلغت حداً لا يمكن ترميمه لأنها مست أقدس القيم الإلهية على وجه الأرض.

خامساً : حجاج النزاهة ورمزية الطهر الديني

تتمحور هذه الدراسة حول استجلاء المرتكزات القيمية في خطاب السيد حيدر الحلي الشعري، مع التركيز على ثنائية (حجاج النزاهة) و(رمزية الطهر الديني) بوصفهما قطبي الرحى في نصه، إذ تبحث الدراسة في تحويل النزاهة إلى إستراتيجية حجاجية تؤصل لعدالة القضية عبر نفي المنفعة، وكيفية اشتغال رمزية الطهر في تحقيق الانعتاق الوجودي، ويهدف العمل إلى تبيان آليات الطهر الدلالي بين الحجة العقلية والرمزية الروحية، لإعادة إنتاج مشهد الطف كبنية قيمية متعالية وهنا يقول:

أرخصوهـــا للعـــوالي مُهجاً قـد شراهـا منهم اللهُ فغالى
نَسيت نفسيَ جسمي أو فلا ذكرت إلاَّ عن الدنيا ارتحالا[2]

وهنا تتبلور ثنائية السيد حيدر الحلي ببنية دلالية مركبة، إذ تزاوج بين إستراتيجية الحجاج والرمزية الروحية؛ فمنظور حجاج النزاهة يتأسس على مقولة المعاوضة المتعالية، حيث يتم استبدال القيمة المادية الزائلة (المهج والأرواح) بقيمة غائية مطلقة مما يجرّد فعل التضحية من أي غرضية نفعية أو مطمع دنيوي، ويحيل الشهادة إلى عقد يكون الطرف المشتري فيه هو الذات الإلهية التي أضفت صفة المغالاة على هذا البذل، تأكيداً لسموّ القصد ونزاهة المطلب.

وعلى صعيد موازٍ تتجلى رمزية الطهر الديني كحالة من الانعتاق الجوهري (الوجودي)؛ إذ يتمظهر الترفع عن الذات الجسدية في النص بوصفه تطهيراً للجوهر الروحي من كدر المادة، فـ (النسيان) هنا ليس غياباً للوعي

[1] ديوان السيد حيدر الحلي/ ج1/ 144.
[2]. ديوان السيد حيدر الحلي/ ج1/ 146 .

بل هو إدراكٌ تام لعدمية الجسد في مقابل خلود المبدأ، وبناءً على ذلك يصهر الحلي مفهومي النزاهة والطهر في بوتقة واحدة ليُعيد صياغة الواقعة لا بوصفها هزيمة تراجيدية أمام تقلبات الدهر بل بوصفها فعلاً إرادياً متعالياً ينفي سلطة الزمن ويحقق النزاهة المطلقة عبر الارتحال النوعي نحو الأبدية.

- **النتائج**

1. خلص البحث إلى أن الحجاج ليس مجرد عنصر عرضي بل هو الجوهر الفاعل في لغة السيد حيدر الحلي، حيث زاوجت لغته بين نزاهة الحجة و الانعتاق الوجودي.
2. وقد نجح الشاعر في تحويل القصيدة من مجرد (رثاء ساكن) أو بكائية تقليدية إلى (فعل إنجازي) و(مرافعة تداولية) قادرة على إعادة صياغة قناعات المتلقي واستنهاض وجدانه عبر الزمان.
3. لقد أظهر البحث أن الشاعر وظف الأفعال التوجيهية (كالنداء، الأمر، الاستفهام) ليس لطلب الإخبار، بل كآليات حجاجية لممارسة سلطة التحريض، وإحراج الموقف، وإلزام المخاطب بمسؤولياته الرسالية.
4. تمكن الحلي من تطويع الأغراض الشعرية الكلاسيكية (كالرثاء والمدح والفخر) وتحويلها إلى أدوات للشكوى والاحتجاج والمحاكمة السياسية، مما جعل شعره متنفساً لمواجهة الانسداد السياسي والاجتماعي في عصره.
5. وقد أثبت البحث أن الخطاب الشعري عند الحلي بني على قصدية حجاجية تهدف إلى ترسيخ الهوية العقائدية، محولاً الكلمة إلى موقف نضالي يهز الوجدان ويُعيد تشكيل القناعات الروحية والسياسية.

- **التوصيات**

1. يوصي البحث باستثمار مقولات (نظرية الأفعال الكلامية) خاصة أفكار أوستن وسيرل وفان ديك في تحليل النصوص التراثية للكشف عن أبعادها التأثيرية الكامنة.
2. وكذلك التأكيد على أهمية دراسة البعد الحجاجي في شعر الرثاء والولاء وعدم الاكتفاء بالنظر إليه كعاطفة مجردة بل كخطاب إقناعي يسعى لإثبات المظلومية ومساءلة التاريخ.
3. الدعوة إلى المزاوجة بين التحليل البلاغي التقليدي والدرس اللساني الحديث (التداولي) لفهم كيفية اشتغال اللغة كفعل اجتماعي وإنجازي يؤدي إلى تغيير مواقف المتلقي.
4. ولذا يوصي البحث بإعادة قراءة نصوص السيد حيدر الحلي بوصفها (وثائق سياسية) و(مرافعات استنهاضية) عابرة للزمان وليس مجرد نصوص أدبية للرثاء.

المصادر والمراجع

1. اصول الفقه، الشيخ محمد رضا المظفر، المجلد الثاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2، 1990م
2. أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، محمود أحمد نحلة ، دار المعرفة الجامعية ، 2002
3. أوستن نظرية أفعال الكلام العامة ، كيف ننجز الأشياء في الكلام ، ترجمة عبد القادر قينيني ، مطابع أفريقيا الشرق ، 1991 ، الدار البيضاء .
4. البناء الصوتي في القرآن الكريم، محمد حسن شرشر، الطبعة الأولى، دار الطباعة المحمدية، القاهرة 1988.
5. البابليات ، محمد علي اليعقوبي ، ج2 ، مطبعة الزهراء ، 1951م.
6. تاريخ الحلة ، القسم الأول- في الحياة السياسية يوسف كركوش الحلى، المطبعة الحيدرية النجف الاشرق، ط1
7. تاريخ الحلةً القسم الثاني في الحياة الفكرية ، يوسف كركوش الحلي ، منشورات المكتبة الحيدرية وطبعتها في النجف ، 1385 ه ــ 1965م .
8. التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، بشرى البستاني ، الفعل الكلامي النصي قصيدة (وتعطَّلت لغة الكلام...) لمفدي زكريا أنموذجاً / عبد الحليم بن عيسى، مؤسسة السياب ، لندن ، ط1 ، 2002.

9. ديوان السيد حيدر الحلي، تحقيق مضر سليمان الحلي، ج1، شركة الأعمى للمنشورات، ط1، بيروت، 2011
10. معجم *اللغة العربية المعاصر*، أحمد مختار عمر، مجلد 1، ط1، 1429ــ 2008
11. المنجد في اللغة ، لويس معلوف ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت

المجلات والاطاريح

1. الاستنهاض في قصائد السيدين حيدر الحلي وجعفر الحلي الإمام المهدي عج انموذجا دراسة موازنة موضوعية - اسلوبية ، بلاسم حسن حمادي الخفاجي ، مجلة كلية التربية الاساسية ، العدد :111 ، المجلد :27 ، لسنة : 2021.
2. الأسلوب العتابي في قصائد السيد حيدر الحلي الحسيني، Lark Journal ، المجلد: 17 ، العدد 3 ، الجزء 1 في 1 / 7 / 2025 .
3. تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية ، عمر بلخير ، مجلة الأثر ، العدد 13، مارس ، 2012.
4. خطاب المهدويّة في شعر السيد حيدر الحلي معتمدا على قضية الانتظار و الاستنهاض ، د. سودابه مظفري جامعة الخوارزمي ، طهران ، السنة الرابعة - المجلد الرابع - العدد الثامن ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م
5. الفعل الكلامي النصي عند فان دايك ، محمد مهدي حسين ، كلية التربية ، جامعة ميسان مجلة أبحاث ميسان ، المجلد الثامن عشر، العدد الخامس والثلاثون ، حزيران ، السنة ٢٠٢٢
6. الفعل الكلامي في اللسانيات الحديثة، تحميل الخطاب عند فان دايك أنموذجا / الدكتور محمد بصل ــ فراس سعيد ، الآداب والعموم الإنسانية ، مجلة جامعة تشرين ، المجلد 40 ، العدد 5 .
7. نظرية الحجاج اللغوي عند ديكرو ، نهاري فضيلة ، مجلة الرستمية العدد الخاص بالمتلقي الوطني الحجاج وعصر الخطاب ، الباحثة لقاء عباس ظاهر، جامعة المُستقبل كلية التربية, قسم العلوم التربوية والنفسية
8. نظريتا الحجاج والأفعال الكلامية بين الأرث البلاغي العربي واللسانيات الغربية المعاصرة ، لقاء عادل حسين ، حوليات آداب عين شمس ، المجلد 50 ، عدد أبريل ، يونيو 2022.
9. أسلوبية البنية الدلالية في مراثي السيد حيدر الحلي ، حسين نعمة الركابي ، طالب الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة أصفهان ، إيران ، مجلة اللغة العربية وآدابها ، العدد ٣٧ ، رمضان ١٤٤٤ هـ ، نيسان ٢٠٢٢م .
10. الأمر والنهي في نظرية الأفعال الكلامية إدريس سرحان ، أطروحة لنيل الدراسات العليا، إشراف د. عبد الوهاب التازي، المغرب جامعة فاس، ١٩٨٨.